ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 38 - العدد 1093 - الجمعة 27 شوال 1425 هـ - الموافق 10 دجنبر 2004

الأمر بالمعروف من صفات المؤمنين

مسائل الخلاف في ذات الوجهين

الزهد في الدنيا

الغفلة

تشطير قصيدة البردة

جامع القرويين في عصر الأدارسة

معرفة الصحيح من الحديث

الحج ركن من أركان الإسلام

الحج لغة القصد وعندنا نحن المسلمين نعني به قصد بيت الله الحرام لأداء مناسك هذا الركن المعروف أنه من أركان الإسلام الخمسة.

وقد فرض الله الحج بالكتاب والسنة، قال تعالى: إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين، وعن أبي هريرة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: (إيمان بالله ورسوله) قيل ثم ماذا؟ قال: (ثم جهاد في سبيل الله) قيل ثم ماذا؟ قال: (حج مبرور) والحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم، وعنه عليه الصلاة والسلام: (جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج) رواه النسائي بإسناد حسن.

والحجاج وفد الله، ففي الأثر: (الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر الله لهم). وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة).

والحج يجب مرة واحدة في العمر، وعلى هذا القول أجمع العلماء، فعن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا) فقال رجل أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم) ثم قال: (ذروني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم في أنبيائهم، فإذا أمرتكم بالشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتم عن شيء فدعوه) رواه البخاري ومسلم.

إنه عليه الصلاة والسلام رحمة مهداة للعالمين ورؤوف رحيم بخلق الله لا يأمر الناس إلا بما يستطيعون القيام به كما جاء في الكتاب: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) أي طاقتها.

وإن أمكن للمسلم أن يؤدي فرض هذا الركن – أعني الحج – على الفور فذلك فيه مصلحته لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أراد الحج فليعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة) رواه أحمد والبيهقي والطحاوي وابن ماجة.

وبناء على هذا فيستحب للمسلم تعجيل الحج ما دام قادرا صحيحا يتوفر على الزاد والراحلة ليأتي بمناسكه المطلوبة منه وهو في قدرة بدنية كاملة، فمن كان مسلما مستطيعا عاقلا بالغا حرا يجب عليه الحج.

وللحج أركان أربعة لا تجبر بالدم وهي: الإحرام، والطواف، والسعي، والوقوف بجبل عرفة، وتوجد كتب صغيرة طبعتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ضمنتها أحكام الحج وبسطتها تفيد الحاج وتبصره بأحكام حجه، زيادة على ما تجنده كل سنة من أطر إدارية وبعثات علمية تيسر مهام الحجاج.

ولموسم الحج مزايا دينية ودنيوية ترجع على الحاج بفضل كبير ويجني منها المجتمع الإسلامي فوائد جمة أعزها: التعارف والتضامن والاتحاد على تقوى من الله ورضوان.

تلتقي جماهير حجاج المسلمين في بقعة مقدسة يمنع فيها على من يقوم بأداء فريضة الحج من أن يرفث أو يؤذي أو يعمل عملا مشينا لحرمة أخيه المسلم وقداسة المكان عند الله عز وجل، قال عليه الصلاة والسلام: (من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)، ولعل أكبر مكسب يحصل عليه الحاج هو غفران ذنوبه زيادة على لقائه بإخوته في الله من جميع جهات العالم.

فاستغلال هذا التجمع الفريد من نوعه لنشر المحبة والسلم وإظهار مكارم أخلاق الإسلام ورحمانيته شيء مطلوب منا كي يتيقن من له أدنى شك في الإسلام ورسالته الرحمانية الحاثة على السلم والسلام وانتشاره بين جميع فصائل الأنام أن هذا الدين هو دين العدل والمشروعية والأخوة في الله والمحبة فيه لا دين تطرف وتزمت وتجني على الغير.

فعلى وعاظنا ومرشدينا الناصحين للحجاج بتطبيق أحكام الحج التي كلها عبادة ونفع ومواساة وآداب فاضلة يفرضها جلال المقام وكمال حرمته وتطبيق مناسكه الروحانية أن لا يبخلوا بنصائحهم المفيدة ومواعظهم السديدة، فكل حاج من بلد من البلاد الإسلامية عبارة عن سفير يمثل بلده، فعليه أن يعطي الوجه الناصع والسلوك المستقيم الذي يترك للجهة الآتي منها الانطباعات الطيبة عنها وعن ساكنتها.

وإذا تحمل كل واحد مسؤوليته في القيام بالواجب عليه فتلك أثمن بضاعة يصدرها المسلمون لمن سواهم تجلب رصيدا لا يفنى للمجتمع الحنيفي الإسلامي الذي وقعت حملات إعلامية تحاول النيل منه بدون أدنى سبب، ويساهم سلوك الحجاج النبيل في إرجاع المياه لمجاريها، وفيه تفنيد لما يروجه أعداء الإسلام عنه، فلينتبه هذا الزخم البشري الذي يتوجه في هذه السنة لأداء فريضة الحج إلى ما يجب عليه القيام به من التحلي بالأخلاق الحميدة، وليبرهن على انضباطه وقيامه بالواجب حول ما جاء من أجله وهو أداء فرض له واجبات يجب أن تحترم، وآداب يجب أن تراعى في تلك الأماكن التي ميزها الله بفضل مكة التي بها بيت الله، والمدينة التي نالت شرف روضته صلى الله عليه وسلم، وليجعل الحجاج نصب أعينهم امتثال الواجب عليهم، فعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة وإني دعوت في صاعها ومدها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة) متفق عليه.

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المدينة حرام ما بين عير إلى ثور)، لا أحرمنا الله من تلك البقاع الطاهرات ورزق حجاج المسلمين التوفيق فيها لأداء مناسكهم حسبما أوجب الله ورسوله عليهم، وجعل الله حجهم جميعا مبرورا وسعيهم مشكورا، وعودهم مسرورا، وسلك بالمسلمين طريق التوفيق والهداية والنجاح، كما نرجوه جلت قدرته أن ينشر المحبة والسلم بين أفراد البشرية وجماعاتها بصفة عامة إنه ولي التوفيق.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

الداعية المصلح الحاج أحمد بن القاضي التنبكتي

■ في الحلقتين الماضيتين تكلمنا عن تمجيد هذا الداعية المصلح للمولى سليمان ملك المغرب، رحمه الله، وعن تقديم شكاية له بربابنة السفن المغربية التي كانت تمخر عباب الأطلسي، والمتوسط، يشتكي ما كان عليه هؤلاء من سوء الاعتقاد، بسبب اعتقادهم بأمور خرافية، لاعلاقة لها بالدين، وقد أتى بعدة أمثلة على مايقول، وينتقد تصرفهم مع ركاب السفينة إذ يلزمونهم بطقوس ماأنزل الله بها من سلطان، وأطال في هذا الموضوع، وختمه بقوله: "وإذا كان هذا هو شأن أهل المراكب فحرام أن يبعثوا لمجاهدة النصارى، لحرمة استعانة المسلمين بالمشركين في الجهاد، على مذهب إمام الأئمة مالك رحمه الله... إلى أن يقول: "وليس لهم عمل إلا ترك الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وفعل اللواط، والزنا، وشرب الخمر، وسب الدين المحمدي، والتشاؤم بالقرآن وكراهة أهله..."

وبعد ذلك يقول: (عودة إلى شرك العبيد المعتقين) فتح هذا العنوان بعد شكايته التي قدمها لوالي تونس، وقد سبق الكلام عن ذلك، ليؤكد أن مشكل العبيد الحراطين، ليس خاصا بتونس وحدها، بل هو موجود بالمغرب أيضا، وإن كان في تونس حسب قوله أظهر، وأخطر، وقد بسط هذا المشكل بكثير من الوضوح، وبماله من خطر على المجتمع المغربي، كما سيتضح فيما بعد.

ويذكر أن خطر هؤلاء يشمل تونس والجزائر، ومحروسة فاس وماحولها، ويقول: وأشدهم كفرا وفسادا فيما علمت عبيد تونس، ومن أراد أن يعرف ذلك فعليه برسالتنا المسماة: (بهتك الستر عما عليه سودان تونس من الكفر) وهؤلاء العبيد تختلف مذاهبهم وأعمالهم، وأسماء عبادتهم باختلاف البلدان، ومعبودهم واحد، وهو: الشيطان، ومذاهبهم شتى... ومنهم من يسمي شياطينهم (هندكي) و(إسكي) و(بلمس)و(كوجي) كمشركي بلاد تنبكتو، ومرادهم (بهندكي) شياطين البر، و(إسكي) شياطين البحر و(بلمس) أيضا من شياطين البر، كما بلغني عنهم، والذي في علمي أنه من كبار آلهتهم، ومرادهم (بكوجي) (غمبر) وهي الآلة التي يضربونها، ويعظمونها كتعظيم المؤمنين للمصحف، أو أشد، ويسمون عبادتهم للشياطين (دردبة) ويذبحون للشياطين في كل سنة البقر والدجاج، ولاتقضى لأحد حاجته إلا من جهتهم، كما في زعمهم... وكثير من نساء المؤمنين يمشون إلى العبيد ليطلبوا لهن حوائجهن عند الشياطين..."

فابن القاضي التنبكتي يعرف لغة هؤلاء، وأسماء المقدسين من الجن عندهم، والشياطين المعبودين والمعتبرين لديهم.

ومن المعلوم أنه بعد فتح السلطان أحمد المنصور السعدي لبلاد السودان، جلب عددا كبيرا من العبيد إلى المغرب، واستعملهم في الجيش، وفي البناء والحدادة، والنجارة والفلاحة، وغيرها من الصنائع التي تحتاج إلى مجهود عضلي، وهؤلاء العبيد لم يكن معظمهم على دين الإسلام، وأغلبهم جلب من مناطق وثنية، وأظهروا الإسلام، وهم لايعرفون قواعده ومبادئه وآدابه وشريعته... إلا القليل منهم، سواء في عهد السلطان أحمد الذهبي، أو في عهد المولى اسماعيل الذي كون منهم الجيش البخاري، وكانوا يدعون (بالبواخرة) وعمل السلطان المولى اسماعيل على تحسين أحوالهم الدينية، وتثقف عدد منهم بالثقافة الإسلامية، وظهر من بينهم بعض الفقهاء، والعلماء، لكن أغلبيتهم ظلت تحن إلى عاداتهم القديمة، وبعد موت المولى إسماعيل أظهر المسؤولون عن فرق الجيش منهم، تطلعهم للتدخل في الشؤون السياسية، وتولية الأمراء، ووجد العامة منهم فرصة لممارسة طقوسهم القديمة، التي تقدس امراء الجن، وتقيم لهم الحفلات الصاخبة لاستحضارهم، ودخل عدد كبير منهم في الطريقة العيساوية، التي كانت في أصلها من الطرق الصوفية الشاذلية، وشيخها العلامة سيدي محمد بن عيسى معروف بعلمه، وبتضلعه في العلوم الإسلامية، وقد ترجم له صاحب الدوحة وغيره، وكان على مذهب الإمام الشاذلي في التصوف، لكن، وجود هذه الطريقة بمكناس، وهي موطن تجمع العبيد السود، مع موجة الفتن التي عرفها المغرب بعد موت المولى اسماعيل رحمه الله، وطول أمدها، كل ذلك مكن لهؤلاء العبيد من نشر طقوسهم، وإدخال معتقداتهم، في الطريقة السالفة الذكر، من تحضير الجن وترضيتهم، بالرقص الشديد، ودق الطبول الكبيرة وذبح الذبائح لهم، بل افتراسها وهي حية، وأخذوا ينشرون طقوسهم خارج تجمعاتهم، والطريقة العيساوية في أصلها بريئة من هذا كله، وحزب شيخها كله توحيد، وأدب مع الله تعالى، لكن العبيد في زمن الفتن وجدوا الجو مناسبا لهم، ولولا تدخل السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وأمره بتوزيعهم على جهات مختلفة من المغرب لكان امرهم أفظع وأخطر، سواء من الناحية الأمنية، أومن الناحية الاجتماعية.

وفي عهد المولى سليمان استمرت مزاولة بعض طقوسهم في المدن والقرى، وأصبحت بعض الأسر تقيم حفلات الجن بالرقص و(الحيرة) وضرب الطبول الضخمة بعنف، وتقديم الأطعمة التي يشتهيها الجن، في زعمهم، ورقصة للأميرا، وعيشة قنديشة، وغيرهما من الرقصات التي أصبحت تمارس في هذه الحفلات الغريبة.

ولهذا نرى الحاج ابن القاضي التنبكتي ينادي المولى سليمان بحرارة، ويؤكد له خطورة طقوس العبيد (الحراطين) على المجتمع المغربي المسلم، فيقول: "فواجب وجوب فرض أن تمنع المعتقين. الحراطين. من محروسة فاس، ومراكش ومكناس، وتطوان، والرباط، وسلا، وتفلت، ودرعة، وجميع مملكتك من (دردبة)، وهي الطقوس التي تمهد لربط الاتصال بالجن الذين يتحكمون في أرواح المصابين بهم. يقول على نحو فعل أجدادهم وآبائهم، وأن تجعل لهم من يعظهم، وهم لايتركون ذلك إلا بمعاينة الموت. أي بالعقاب الشديد....

ثم يقول: "ويجب عليك أن تمنع أهل فاس وأعمالها عن تمادي الخدم في ديارهم ليعلموا لهم (دردبة) أي طقوس استحضار الجن. لأن المسلم إذا فعل ذلك يخاف عليه من الكفر، لأنه يعد راضيا بذلك" ويطلب من السلطان المولى سليمان أن يراسل باشا الجزائر وطرابلس ونحوهما. "أما تونس فقد كفاك عن عبيده حمودة باشا، أعزك الله وإياه بقوة الإيمان" ويمتدح ابن القاضي شيخ الإسلام محمد بيرم الحنفي التونسي، ويقول: جزاك الله وإياه خيرا، والخطاب للمولى سليمان، ويكثر من الإلحاح على المولى سليمان في هذا الأمر، ويقول: أجمع السلف والخلف على وجوب حفظ السلطان رعيته من المناكر التي دون الكفر، فما بالك بالكفر؟ ويسترسل بعد هذا في إيراد النصوص من القرآن الكريم على عادته في بداية هذه الرسالة، وبعد ذلك يقول: فاعلم أيها الأمير الأسعد اني سمعت ماحكمت على الدخان من التحريم ومنع استعماله، تالله ماعملت إلا خيرا، سيجزيك الله جزاء الشاكرين، حيث حرمت ماحرم الله، وسيصل إليك دعاء المؤمنين... إلى أن يقول: فاعلم سيدي أن منعك (دردبة) آكد من الدخان، لأن الدخان معصية، إن سلم شاربه من التحليل (كذا) أي من القول بالإباحة. و(دردبة) شرك وكفر، وهذا كلامي، وهذه قدرتي، فلما عرفت من العبيد الكفر، ناديت بلساني على الذي ينصرني كما قال تعالى في حكاية عيسى بن مريم : (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله، قال الحواريون نحن أنصار الله)الآية، (آل عمران/52)، وأظن أن يكون أمير المؤمنين من الذين نصروا الله

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

وجده، والله أسأل ألا يخيب ظني، وأن لا يبطل عملي بالرياء والعجب، وأن يكفيني شر جاهل القلب، عالم اللسان، إنه هو المجيب لمن دعاه، والناصر لمن نصره، والرحيم لمن لارحيم له".

ورسالة ابن القاضي التنبكتي طويلة، واستشهاداتها كثيرة، وهو يحسن إيراد الآيات في مكانها المناسب، وأسلوبه يختلف مابين قوي، وضعيف، لكن إيمانه قوي ولهجته صادقة، وحرارة الإيمان واضحة، وهو على اطلاع واسع بمبادئ الدين وأصول العقيدة، حججه قوية، جلية الدلالة... ويدل كلامه المنبثق من أعماق جوارحه، على أن إخواننا من علماء حوض النيجر والسينغال كانوا متشبعين بالروح الإسلامية، ودارسين للعلوم الشرعية، ومتمتعين بصفاء العقيدة، ورسوخها، والغيرة على قيم الإسلام ومبادئه وآدابه، ومثله، وأخلاقه السامية.

ومن خلال قراءة الرسالتين إلى والي تونس، وسلطان المغرب يتبين أن ابن القاضي التنبكتي من العلماء المصلحين المخلصين الناصحين، وقد اعتذر عن عجمته، وعن عدم قدرته على الإتيان بالأساليب الأدبية المتألقة، لكنه استطاع أن يعبر عن مقصوده بوضوح، وأن يشعر القارئ بإخلاصه، وصدق إيمانه، فهو غيور، يخشى أن تنتهك محارم الله، مهتم بأمر المسلمين ومستعد للقيام بالدعوة، إلى طريق الهداية، النابعة من تعاليم الدين الحنيف، ويحز في نفسه سكوت العلماء، وعدم القيام بواجبهم في تبليغ ماأمرهم الله بتبليغه، ويعيب عليهم سكوتهم الذي استغله المنحرفون..وعبدة الشياطين ، استغلالا شكل خطرا على المجتمع المسلم...

وماتزال هذه الرسالة تحمل إشارات ينبغي الوقوف عندها، منها: زهد المولى سليمان وتواضعه، وتقشفه، وقد اطلع ابن القاضي على أحواله وعاداته، وضمن رسالته ذلك، وإلى موضوعات أخرى جديرة بالملاحظة.

الوثاق

مسائل الخلاف في ذات الوجهين

للعالم العلامة سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

قال الشيخ الفقيه الامام العالم العلامة المقرئ النحوي اللغوي سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي رضي الله عنه، قال سليل عبد السلام محمد الفاسي ذوي الارحام

■■■ مقتصر قول الشاطبي رحمه الله
وقالون بتخييره جلا، استواء الوجهين
ومقتضى قول الداني في التيسير وابن كثير
وقالون بخلاف عنه أن يكون الضم والصلة
مقدمين، ولاسيما وهما قراءته على أبي
الفتح وهو طريقه في التيسير فيكون
مصدرا لهذا، واقتصر على الاسكان لشهرته
وهو الذي أخذ به ابن مجاهد وابن شريح
وصاحب المصباح وغيرهم والله سبحانه
اعلم.

■■■

وصدر التوسيط عن ورش بباب
ءامن فالاشباع فالقصر اللباب
صدر التوسيط للاقتصار صاحب
التيسير عليه في سورة البقرة وتوسط لكونه
الاشباع المشهور عند البصريين، وظاهر
الشاطبية تقديم القصر ثم الاشباع ثم
التوسيط والله اعلم.
وصدر لورشهم توسيطا
بباب شيء ثم زد تمطيطا
في الوصل والوقف وزد عليهما
لغيره في الوقف قصرا فاعلما
صدر التوسيط لاقتصار الداني عليه في
سورة البقرة، ونصه
ورش يكن الياء من شيء
وشينا وكهيئة وشبهه
وكذا الواو من السوء وسءة وشبهه الخ
كلامه.

■■■

وحمل التمكين في ذلك على التوسيط
كما عند الجعبري، كما حمل القصر في
عبارة الشاطبي على التوسيط أيضا لأنه ذكر
القصر لغير ورش في الوقف على وجه
المقابلة فتعين حمل وجه القصر المذكور
لورش على مرتبة لا على من سقوط المذكور
لغيره، وأدنى من الطول المذكور له وهي
التوسيط، ولا يجوز أن يكون هي جعل شيء
من المد فيه، لأن الصحيح إن حد في اللين لا
شيء فيهما من المد بحيث أجريا مجرى
حروف المد، أجريا مجريهما في الفرعي
خاصة وهي اشباع أو توسط، وكان قصدهما
عدوذاتهما من مد وهو بين.
ثم إن عبارته تقتضي تقديم الإشباع على
التوسيط، لكنه رحمه الله بذكر الأحكام
على حسب ما يصوغ به النظر، فلا يقتضي
كلامه في مثل هذا ترتيبا والله اعلم.

■■■

والواو سوءات مثله جرى
والف من باب ءامن يرى
واوا سوءات الذي هو جمع مؤنث سالم،
هو من باب شيء، وسوء، فيكون التوسيط
فيه مقدما لأنه من ذلك الأصل، ويليه
الاشباع وعلى التوسيط اقتصر في التيسير
لأنه قال بلصق نصه المتقدم في البيتين
الذين قبله إذا انفتح ما قبلهما، وكانا مع
الهمزة في كلمة واحدة، حاشا، موئلا
والموءودة، وسكت عن سوءاتكم، فكانت داخلة
في عوام الباب، وزاد الشاطبي على الوجهين
الذين عنده في باب شيء وجه القصر اعتبارا
بأن جمع المؤنث السالم إذا كان واحدة ساكن
العين تتبع عين الجمع فاءه في التحريك،
ويجب ذلك في مفتوح الفاء نحو قصعة هذا
أصله، لكنه إذا كان العين معتلة نحو جوزة
وعورة وسوءة وبيضة اختلفت لغة العرب
فيها، فمنهم من جاءت لغته على هذا الأصل
وهو هذيل وأكثر العرب، استثقل الحركة على
العين المعتلة، فألزمها السكون، فإذا بنيتها
على اعتبار لغة الأكثرين كانت واوا سوءاتكم
وسوءاتهما ساكنة بين فتح وهمزة، ففيهما
الوجهان اللذان في المفرد، نحو سوءة أخيه
وهما التوسيط والاشباع، وإذا بنينا على
اعتبار لغة هذيل وعلى اعتبار أن أصل عين
الجمع التحريك كانت الواو محركة، والواو
المحركة لا مد فيها والله تعالى أعلم.

■■■

وذي الثلاثة ترى في الوقف
في باب ريب سوف دون خلف
تصدر التوسيط فيها لا رباب الوقف في
وجه المد ملحق باب الوصل، ورباب الوصل في
مثله هو باب شيء وسوء وهو سبق فيه تقديم
التوسيط على الاشباع والله اعلم.

■■■

فإن يكن باب غفور قدموا
مدا فتوسيطا فقصرا فاعلموا
باب غفور هو ما كان الساكن الذي قبل
الحذف الموقوف عليه فيه حرف مد الفا، نحو
الألباب أو ياء نحو قد يرأو واو نحو غفور،
وترتيب الوجوه على ما ذكر لأن الساكن في
الوقف محمول على الساكن في الوصل
فاعطى حكمه وتصدر الاشباع، وإن كان مبنيا
على الاعتداد بالعارض لأنه حكم الأصل،
فالحق الفرع به تماما للحمل وتوغلا في
القرار من التقاء الساكنين وتوسط التوسيط
لأنه قريب من حكم الأصل المحمول عليه،
وتأخر القصر وإن كان مبنيا على الاعتداد
بالأصل لبعده عن حكمه والله سبحانه
وتعالى اعلم.

■■■

وقدمن في الجميع الاسكان
فالروم فالاشمام فاحوا لتبيان
يعني أن الوقف يقدم فيه للاسكان لأنه
الأصل فيه، لأن الواقف طالب راحة فاعين
بالأخف الذي هو زوال الحركة أصلا مع أن
الحركة أتى بها بعد الحرف إعانة على نقل
الهواء من حيز إلى آخر عند تركيب حروف
الكلمة لإيجادها والنطق بها وعند تركيبها
بعضها مع بعض لإفادة المعنى، والواقف لا
يريد شيئا من ذلك، فكان يجب الإسكان على
هذا، وهذا معنى كونه أصلا، لكنه قد تتوفر
رغبة الواقف في اعلام السامع بحركة الحرف
الموقوف عليها، ورغبة السامع في ذلك،
فشرعت لهذه الضرورة الاشارة روما وإشماما،
وكان الروم قبل الاشمام لأنه أقرب من الأصل
الذي هو الوصل عند إرادة الإفهام لاشتراك
الاعمى وغيره فيه والله اعلم.
ثم الثلاثة ترى للبصر
في باب الادغام الكبير فادر
كانت ثلاث مدود، الوقف في باب الادغام
الكبير، لأن تغيره عارض كتغير الوقف، فجاز
فيه ما جاز فيه مديا كان أو لينا، لا عبرة بقول
الجعبري، ولم أقف على نص في اللين،
والمفهوم من عبارة الشاطبي القصر إذ ليس
كذلك بل المفهوم الثلاثة، وقد نص عليها
صريحا ابن الجزري في نشره، ثم اعلم أن
مقتضى حمل هذا الأصل على باب الوقف ان
ترتب ثلاثة، اللين نحو حيث شئتما، والقول
لعلهم ثلاثة ريب وسوف، فيكون المصدر هو
التوسيط،والذي أخذنا به، وهو الذي عليها
هو تقديم الإشباع، ولا يبعد أن يكون من باب
تقديم غير المصدر لشهرته، وذلك عند إرادة
الاقتصار ومقتضى حمل هذا الأصل أيضا
على باب الوقف أن يكون الإشباع الذي فيه هو
الإشباع الذي في باب الوقف، وهو الكبرى
الذي هو إشباع ورش وحمزة، لأنه المأخوذ في
باب الوقف على ما به العمل، والذي أخذت به
هو إشباع أبي عمرو الثابت له لأجل الساكن،
نحو الدواب وصاد ونون والقلم، ولو كان الأخذ
له بإشباع ورش لوجب أن يندرج مع حمزة في
فالزجرت زجرا، فالتليت ذكرا، والذريت ذروا،
ومع خلاد في فالمبقيت ذكرا فالمغيرت صبحا،
فانظره وعلى ما به الأخذ تشكل مرتبة
التوسط، إذ تكون باعتبار هذا الإشباع ليست
هي التي باعتبار إشباع الكبرى، إذ التوسط
باعتبار الكبرى نص الداني على أن الفرعي
فيه نصف الزيادة في الإشباع خلاف ما وقع
لشيخ شيخنا رحمه الله.

■■■

فيكون التوسط هو مرتبة الوسطى، وعليه
فيكون أعلى الإشباع المأخوذ له به، وذلك
فاسد للاتفاق على أن مرتبة التوسط أحد
مرتبة الاشباع.

■■■

فإن قيل يزاد له على الطبيعي في هذا
نصف الزيادة له في الإشباع وذلك نصف
حركة قيل: يكون هذا التوسط على هذا ليس
هو التوسط الذي ذكره الداني لورش في بابه
ولا هو التوسط الذي ذكره الجعبري في باب
الوقف وأنا لا أعرف التوسط مضبوطا الا بما
ضبطه الداني وبما ضبطه به الجعبري، وإن
كان ضابط الداني لا يأبى هذا وإن كان يتكلم
في توسط ورش مع أن الأصل محمول على
الوقف.

■■■

وبعد فأنا لا أفهم إشباع أبي عمرو في
الإدغام الكبير الاشباع البكري، ووقع في
الأخذ وهم فانظره والله اعلم.

■■■

ثم إن المراد هنا بالثلاثة هي مراتب المد لا
مراتب أحوال الطرق الموقوف عليه، لأن المعرفة
إذا أعيدت كانت عين الأولى وقد تقدمت كلمة
الثلاثة في قوله، ثم الثلاثة ترى في الوقف
فلتكن هي عين هذه الثلاثة مع كونه سيتكلم
على أحوال الحذف الموقوف عليه في الإدغام
الكبير قريبا ان شاء الله تعالى والله اعلم.

■■■

وخالص الإدغام قدم في الكبير على
الإشارة وخذها عن خبير صدر الإدغام
الخالص من إشارة على إشارة في باب
الإدغام الكبير لتصدير الداني في التيسير،
وفيه تمام حمله عليه فهذا الحكم وإن كان
داخلا في عموم قوله، وقد من في الجميع
الإسكان، لا يعد تكرارا، إذ لا تكرار بين خاص
وعام، لأنه يذكر الخاص بعد العام لمزية فيه،
ويكفينا إعانة المبتدين، إذ يعجز أكثرهم عن
إدراجه تحت ذلك الكلي.

■■■

وأما قوله وخذها من خبير، فإشارة إلى
إنكار من أنكر الروم الذي لا إدغام معه،
وليس كذلك فهو موجود، ولا تمتنع من
الحمل عليه عبارة التيسير ولا عبارة
الشاطبي، وربما كان حملها عليه متعينا
خلافا لمنكره، فالاشارة بنوعيها موجودة،
فخذها ممن علمها، ولا تتوقف في ذلك،
والله تعالى اعلم.

■■■

وباب ءالد ءاندرتهم
تسهيل عثمان به مقدم
تصدر لتصدير الداني به، وقوله عنه أنه
القياس، ونصه بباب ذكر الهمزتين
المتلاصقتين في كلمة.
إعلم أنهما إذا اتفقتا يفتح، نحو قوله
ءاندرتهم، وءانتم أعلم، وءاسجد وشبهه، فإن
الحرميين وأبا عمروا وهشاما يسهلون
الثانية منها، ورش يبدلها الفا، والقياس أن
تكون بين بين هـ.
فقوله وورش الخ هو زيادة وجه على ما
شمله الحرميان لا استثناء منه، وإن كان قرأ
على ابن خاقان الذي هو طريقه في التيسير
بالإبدال والله تعالى اعلم.

■■■

وصدرا تسهيل ثاني همزتين
من كلمتين في اتفاق دون مين
لورشهم وقنبل وثاني
وجهيهما الابدال قل للعاني
وافرد التسهيل عنهما بنال
من بعد جاء واطرحن الابدال
وزاد عثمان بهؤلاء ان
ياء خفيف الكسر والبغاء
إن تصدر التسهيل بهذا الأصل لاقتصار
الداني عليه في التيسير والبدل من
الزيادات، وظهير القصيد أن الوجهين
يجريان في جاء. ال وجاء. ال فرعون. ولكن
الذي أخذت به التسهيل فقط، وهذا معنى
وافرد التسهيل لخ.
وزاد ورش في يقولا ءان والبغاءان وجها
ثالثا
وهو جعل الثانية باء مفخمة محركة
بحركة مختلسة، وهذا الوجه في هاتين
الكلمتين ثان في التيسير.....

(يتبع)

في ظلال الحديث:

الحديث الخامس عشر والمائة: الزهد في الدنيا

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" رواه مسلم.

تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه مسلم (1163/311/4) كتاب الصوم، باب فضل صوم المحرم، وأبو داود في سننه (2429/323/2) كتاب الصوم، باب في صوم أشهر الحرم، ورواه الترمذي في سننه مختصرا (737/12/2) أبواب الصوم، وقال: حديث حسن، وابن ماجة (1742/554/1) كتاب الصيام، باب صيام أشهر الحرم، ورواه النسائي في سننه (3/206، 207) باب قيام الليل.

درجة الحديث:

حديث صحيح، عند مسلم في صحيحه، وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (117/1) ورمز له بالصحة.

سند الحديث:

أخرجه مسلم في صحيحه، وقال: حدثني قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن حميد بن عبد الرحمن الحميري عن أبي هريرة. رضي الله عنه. قال... وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثني قتيبة بن سعيد: هو أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل ابن طريف بن عبد الله الثقفي مولاهم البغلاني البلخي الشيخ الحافظ محدث خراسان وهو من كبار الأتباع. قال أبو حاتم: هو ثقة وحضرته ببغداد وقد جاءه أحمد ابن حنبل فسأله عن أحاديث فحدثه ثم جاءه أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير بالكوفة ليلا وحضرت معهما فلم يزالا ينتخبان عليه وأنتخب معهما إلى الصبح قال أبو بكر سمعت ابن معين يقول: هو ثقة، قال البخاري: مات في غرة شعبان سنة أربعين ومائتين (240هـ) عن 91 سنة.

حدثنا أبو عوانة: هو أبو عوانة الوضاح بن عبد الله مولى يزيد ابن عطاء الواسطي يقال إنه سبي من جرجان وحمل إلى واسط واشتراه يزيد بن عطاء فأعتقه لعلمه. قال ابن المبارك: أحسن الناس رواية عن المغيرة أبو عوانة. وسئل أحمد بن حنبل: أبو عوانة أثبت أم شريك قال إذا حدث أبو عوانة من كتابه فهو أثبت. وقال أبو زرعة: بصري ثقة إذا حدث من كتابه، وقال أحمد ويحيى: ماأشبه حديث أبي عوانة بحديث الثوري وشعبة وكان أميا ثقة. مات سنة سبعين ومائة (170) روى له الجماعة.

عن أبي بشر: هو أبو بشر جعفر بن إياس اليشكري الواسطي بصري الأصل. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول أبو بشر أحب إلي من المنهال ابن عمرو، وقال أبو بشر أوثق، وقال إسحاق بن منصور وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي عن يحيى بن معين وأبو زرعة وأبو حاتم وأحمد بن عبد الله العجلي والنسائي: ثقة وقال محمد بن سعد: ثقة كثير الحديث. مات سنة ثلاث وعشرين ومائة (123) ساجدا خلف المقام. روى له الجماعة.

عن حميد بن عبد الرحمن الحميري: هو حميد بن عبد الرحمن الحميري تابعي ثقة من فقهاء أهل البصرة وعلمائهم ممن كان يرجع إلى رأيه في النوازل، روى عن عامر بن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن الخطاب وأبي هريرة، وروى له الجماعة. قال أحمد بن عبد الله العجلي: بصري تابعي ثقة وكان ابن سيرين يقول: هو أفقه أهل البصرة، وذكره أبو حاتم بن حبان في الثقات وقال كان فقيها عالما.

عن أبي هريرة: هو أبو هريرة الدوسي اليماني، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا، فقيل: اسمه عبد الرحمن بن صخر وهو الأشهر، وقيل غير ذلك.

قال البخاري: روى عنه نحو من ثمان مائة رجل أو أكثر من أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين وغيرهم، وقال المزي: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحافظ الصحابة، وقال الذهبي: صحابي، كان حافظا متثبتا ذكيا مفتيا، صاحب صيام وقيام، روي عنه خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وأربعة وسبعون (5374) وقيل أن عمر رضي الله عنه استعمله على البحرين ثم عزله ثم راوده على العمل فأبى وناب عن الإمارة ولم يزل يسكن المدينة حتى توفي رضي الله عنه بها سنة 57 في آخر خلافة معاوية وله من العمر 78 سنة ودفن بالبقيع رضي الله عنه وأرضاه.

المعنى العام

يعيش المرء حياته مليئة بالمشاغل وصروف الدهر، لذا فهو يحتاج إلى لحظات لصفاء الذهن يختلي فيها بربه ويناجيه، وفي ساعات الليل يصفو الذهن ويجلو البال، ويجيش الوجدان، حين يرى عينه تزيح النوم وقلبه يبعد الكسل، ويقوم متبتلا خاضعا لربه عز وجل، فيقوم بين يديه بصدق وإخلاص، خاشعا راكعا، قائما ساجدا، مسجلا اسمه في سجل الأخيار الذي خصهم رب العزة بالذكر والتكريم: "والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما" (الفرقان:64).

1. قيام الليل سنة رسول الله

قيام الليل سنة مؤكدة، وقربة معظمة في سائر العام، فقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة بالحث عليه، والتوجيه إليه، والترغيب فيه، ببيان عظم شأنه وجزالة الثواب عليه، وأنه شأن أولياء الله والصالحين، وخاصة من عباده الذين قال الله في مدحهم والثناء عليهم: (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم)(يونس، الآية:64).

وكان النبي عليه الصلاة والسلام لايدع قيام الليل أبدا حتى في السفر كان يصليه على راحلته حيثما توجهت به، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كانت صلاة النبي ثلاث عشرة ركعة، يعني من الليل" رواه البخاري، والوتر من القيام وهو أدنى الكمال وهو سنة مؤكدة وهو آكد من جميع التطوعات من السنن الرواتب وغيرها قال الإمام أحمد رحمه الله عمن يترك صلاة الوتر: هو رجل سوء.

ولفضل القيام كان رسول الله يقوم الليل حتى تتورم قدماه وكان لايدعه أبدا وإذا مرض أو كسل صلى قاعدا وكان عليه الصلاة والسلام يحض ويحث على قيام الليل فيقول: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم" رواه الترمذي بإسناد حسن.

1. قيام الليل داب الصالحين

إن قيام الليل عبادة تصل القلب بالله وتجعله قادرا على التغلب على مغريات الحياة على مجاهدة النفس في وقت هدأت فيه الأصوات ونامت فيه العيون وتقلب النوام على الفرش، ولكن قوام الليل يهبون من فرشهم الوثيرة وسررهم المريحة ويكابدون الليل لاينامون إلا القليل ولذا كان قيام الليل من مقاييس العزيمة الصادقة وسمات النفوس الكبيرة، فقد مدح الله عز وجل أهل قيام الليل وميزهم عن غيرهم بقوله تعالى: "أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب".

وقوام الليل يحبون مثلنا النوم والراحة والدعة ولكنهم نفضوا غبار الكسل واستحثوا الخطى وقووا العزائم، فهذا عبد العزيز بن أبي داود إذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه يقول: إنك للين، والله إن في الجنة لألين منك، ولايزال يصلي الليل كله.

ومجاهدة النفس صعبة المنال في البداية ولكنها سهلة الانقياد بالإصرار والعزيمة في النهاية كما قال ثابت البناني: كابدت الصلاة عشرين سنة تنعمت بها عشرين سنة.

وقالت ابنة العام بن عبد قيس: مالي أرى الناس ينامون ولاأراك تنام؟ فقال: يابنية إن جهنم لاتدع اباك ينام.

فقيام الليل هو شرف المؤمن كما جاء ذلك في الحديث الصحيح: "شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس".

3. قيام الليل من موجبات الجنة:

صلاة الليل من موجبات الجنة وقد دل عليه قول الله عز وجل: (آن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين، كانوا قليلا من الليل مايهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون).

قال أبو الدرداء: صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبر.

وكان بعض السلف نائما فأتاه آت فقال له: قم فصل، أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل هم خزانها.

ورأى بعضهم الخليل بن أحمد رحمه الله في المنام، فقال له: مافعل الله بك؟ قال: لم تنفعنا تلك الرسوم وإنما نفعنا ركعات كنا نقومها بالليل، طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم.

فقيام الليل يوجب علو الدرجات في الجنة، قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) فجعل جزاءه على التهجد بالقرآن في الليل أن يبعثه المقام المحمود وهو أعلى درجاته في الجنة.

ويوجب قيام الليل أيضا من نعيم الجنة ما لم يطلع عليه العباد في الدنيا، قال الله عز وجل: "تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون" وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي أنه قال: "يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر". اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءا بما كانوا يعملون. قال القرطبي: أخفوا لله العمل فأخفى الله لهم الجزاء فلو قدموا عليه لأقر تلك الأعين عنده.

وكان أبو سليمان الداراني يقول: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

4. الأسباب المعينة على قيام الليل

إن قيام الليل منحة ربانية للصالحين من عباده، وذكر ذلك الحسن بقوله: إن الرجل ليذنب فيحرم به قيام الليل، ونبه إلى ذلك الفضيل بن عياض فقال: إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار فاعلم أنك محروم كبلتك خطيئتك.

ذكر أبو حامد الغزالي أسبابا ظاهرة وأخرى باطنة ميسرة لقيام الليل:

× فأما الأسباب الظاهرة فأربعة أمور:

الأول: ألا يكثر الأكل فيكثر الشرب، فيغلبه النوم، ويثقل عليه القيام.

الثاني: ألا يتعب نفسه بالنهار بما لا فائدة فيه.

الثالث: ألا يترك القيلولة بالنهار فإنها تعين على القيام.

الرابع: ألا يرتكب الأوزار بالنهار فيحرم القيام بالليل.

×وأما الأسباب الباطنة فأربعة أمور:

الأول: سلامة القلب من الحقد على المسلمين، وعن البدع وعن فضول الدنيا.

الثاني: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل.

الرابع: وهو أشرف البواعث: الحب لله، وقوة الإيمان بأنه في قيامه لايتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه.

فلنحرص على قيام الليل، ولو بأقل عدد من الركعات، مع الاستمرار والمحافظة، فقد ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الليل ورغب فيها، حتى قال: عليكم بصلاة الليل ولو ركعة" (رواه الطبراني في الكبير والأوسط).

والله أعلم بالمراد وهو الهادي

حديث المنابر
الغفلة

■ إعداد الأستاذ: عبد الغني بن محمد أفقير

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك، ولا يقتفي أثرها إلا متق سالك، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.

"ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما".

ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا. واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا.

أما بعد، أيها المسلمون، أحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مرض يسري سريان النار في الهشيم، وينتشر انتشار الدخان في الهواء، ويجري جريان الريح في مهبها، إذا تمكن من أمة تمكن منها الشيطان وحزبه، فصارت في ذيل القافلة، لاتسعى لهدف، ولاتنشد غاية، تحركها أتفه المقاصد، وتنطلق خلف مقصد التوافه.

مرض متى ماداهم النفوس أعملها وأمرضها، وقاد الشيطان خطامها إلى كل قبيح وهوة، يتنقل بها من شين إلى عين، وهي ضعيفة مؤتمرة بأمره، ذليلة خلفه، داء يفتك بالنوايا، فتضيع بين سوء وأسوأ.

سوس ينخر في النفوس فتسعى لخدمة الجسد وبذل الوسع في راحته، وتهمل الروح وإصلاحها، وينزل بالجوارح فتبقى مرتعا لكل شبهة وشهوة، لاتعرف معروفا ولاتنكر منكرا إلا ما وافق الهوى والشيطان.

إنه مرض "الغفلة"

الغفلة عن الله والدار الآخرة، الركون إلى الدنيا وشهواتها، إن الأمة اليوم تدفع ثمن بعدها عن الله وتفريطها في حقه سبحانه، ها هي تسدد فواتير مؤجلة، لسنين عاشتها تحارب الله في أرضه، وتتقوى برزقه على معصيته وترقى سلم النعم في طريقها إلى النقم، إنها أم المصائب، الغفلة عن الحال، والرضا بسوء الأقوال والأفعال، ثم التمالي على الله الذي يستر ويعفو، ويمهل ولايهمل، ويتزين الأمر، فنحن خير من غيرنا، وغيرنا اسوأ حالا منا، ومع ذلك هم في رغد عيش وحسن معاش

معاشر المسلمين:

إن علينا واجبا حتميا، ونحن نرى أمم الكفر قد جاست من المسلمين خلال الديار، وعثت في الأرض الفساد، تقتيلا وتشريدا، بأن نتذكر أثر الخلل الداخلي في مصائبنا أفرادا وجماعات، لعلنا نقوم من عثرتنا، ونصلح فساد قلوبنا وأخلاقنا، ومن المؤكد عند أهل العقول والنهى، إن بداية العلاج، اكتشاف المرض والشعور بوجوده.

نعم، إن الشعور بالمرض مصيبة، ولكن الأعظم والأدهى، أن يكون موجودا ولانشعر بوجوده، أو نشعر به ولكننا نسلك به سبيلا بل سبلا نوحى إلى أنفسنا ومن حولنا أن مانحن عليه أمر مرضي وحال تحمد، ثم نجتهد في البحث عن أدلة تبرر الحال المتردية.

"ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولائك هم الفاسقون".

فبداية العلاج تكمن في اكتشاف المرض وتشخيصه والاعتراف به والبعد عن محاولة تسويقه، فمعرفة الداء والشجاعة بإقرار وجوده والإيمان بضرورة علاجه هي نقطة التحول في حياة الأمة وبداية طريق التغيير والتصحيح الطويل، ها هي معاشر المسلمين أمم الكفر في غرب وشرق من يهود وملاحدة وعباد بقر يسومون المسلمين أشد العذاب ألوانا وأشكالا.

ما السبب؟ لماذا هذا التسلط والنكال؟

إن وسائل الإعلام اليوم، تبحث في أسباب سياسية، وأخرى اقتصادية وتعرج على المصالح والحدود. ثم القوة والضعف العسكري، والناس معها منساقون، بل يساقون إلى أسباب ثانوية ليغيب عنهم الهدف الرئيسي، والسبب الأول.

"أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها، قلتم أنى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم"

"وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم، ويعفو عن كثير".

روى الحاكم وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فقال: يامعشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، ولم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم"

فالسبب الجوهري وراء تسليط الكفار على المسلمين، ونهب خيراتهم، وانشغال المسلمين فيما بينهم في حال مزر يبعث على الأسى والحسرة يتقاتلون، يتلاؤمون ويتشاجرون على مصالح خافية، كل هذا وغيره سببه نقض العهد الذي أخذه الله على هذه الأمة بلسان رسوله صلى الله عليه وسلم، والرضا بالتحاكم إلى قوانين البشر عن شريعة رب البشر سبحانه، وعهد الله شرعه وحكمه، أمره ونهيه، تلك هي الحقيقة الغائبة أو قل المغيبة التي شغلت عنها الأمة، ثم هي بعد هذا كله تحسب إنها على شيء راضية بحالها لاترى أنها أخطأت الطريق أو تنكبت الصراط.

إن الوضع الذي تعيشه الأمة اليوم من تسلط أعدائها عليها، تسام سوء العذاب، إنما هو نتيجة حتمية لضياع عاشته ورضيت به زمنا طويلا، والمسؤولية تقع على كاهل الجميع، كلنا مسؤولون عن هذا الواقع المرير، فإذا صلح الأفراد صلحت الأمة، فهم مجموعها والعكس بالعكس.

إن الله عاقب خير جيل، وخليله صلى الله عليه وسلم فيهم يوم أحد إذ عصوا الله فخالفوا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن عدد يسير منهم ليكون درسا لعموم الأمة، وعاقب ذلك الجيل الذي رضي عنهم ورضوا عنه، وحبيبه بين أظهرهم صلى الله عليه وسلم في حنين لمرض أصاب القلوب، فتعلقوا بالقوة التي بين أيديهم والكثرة التي هم عليها، فلم تغن عنهم شيئا.

"ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين"

إن الأمم العاقلة هي من تستفيد من دروس الحياة، وحال الأمم حولها، فالسعيد في البشر من اتعظ بغيره ولم يكن عظة لغيره، إن التواريخ لتشهد وسنن الله ماضية، بأن من ضيع أمر الله وسعى في خراب الأرض بالمعاصي والآثام ولم يأخذ بأسباب القوة من التمسك بحبله المتين ودينه القويم، فحاله في بوار وشأنه في سفال.قال الله من فوق عرشه:

"ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، أفأمن أهل القرى أن ياتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون، أو أمن أهل القرى أن ياتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون، أفأمنوا مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون".

بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته وفدا إلى اليمن فجازوا في طريقهم بماء من مياه العرب، عنده قصور مشيدة ومواشي عديدة، ورقيق كثير، ورأوا نسوة في عرس لهن وجارية بيدها دف تقول:

معشر الحساد موتوا كمدا كذا نكون مابقينا أبدا

فنزلوا بقربهم فأكرمهم سيد القوم واعتذر إليهم بانشغاله بالعرس فدعوا له وارتحلوا.

ثم إن بعض أولائك الوفد أرسلهم معاوية في خلافته إلى اليمن، فمروا بالقرب من ذلك الماء، فعدلوا إليه لينزلوا فيه، فإذا القصور المشيدة خراب وأنقاض، وإذا الماء النقي قيعان جدب، ولا أنيس ولاجليس، ولم يبق من تلك الآثار إلا تل خرب، فذهبوا إليه فإذا عجوز عمياء تأوي إلى نقب في ذلك التل، فسألوها عن أهل الماء فقالت: هلكوا جميعا، فسألوها عن ذلك العرس، فقالت كانت العروس أختي وانا كنت صاحبة الدف، فطلبوا أن يحملوها معهم فأبت وقالت: عزيز علي أن أفارق هذه العظام البالية حتى أصير إلى ماصاروا إليه، فبينما هي تحدثهم إذ مالت فنزعت نزعا يسيرا ثم ماتت فدفنوها وانقلبوا.

ولقد حكى التاريخ، كتاب التاريخ، أن اخت أحمد بن طولون صاحب مصر أنفقت في تزويج أحد أقاربها 100 ألف دينار، وما مضى إلا قليل حتى رئيت في سوق من أسواق بغداد وهي تسأل الناس.

أيها المسلمون، عجيب أمر أهل الإسلام، ها هم يرون عبر الشاشات وغيرها صور البلاء والتقتيل ومايجري لإخوانهم هنا وهناك. فيبحث في قول فلان وفلان، وهذا اخطأ وذاك أصاب والواجب أن يفعل ويفعل، وهكذا يلقي الفرد المسلم باللائمة على غيره من دول ومؤسسات وأفراد، وينسى أننا جزء من المشكلة وسبب من أسباب وقوع هذا البلاء، ننظر في دوافع مجردة، ونتجاهل سوء معاملتنا مع الله، وكبير جرمنا في حق ديننا وأنفسنا.

هل نسينا أم أنسينا بأن اللبنة المغشوشة في الجدار المغشوش تضر ولاشك، بل قد تكون سبب الهدم والانهيار، والمعنى أن الجرأة على المعاصي والآثام والاستخفاف بنظر الله وعقوبته هو أسرع طريق لتسليط العدو، وتوالي النكبات والهزائم.

أيها الإخوة الأفاضل، كل عبد مسؤول عن نفسه ابتداءا ثم من يعول ثم الأقرب فالأقرب، مسؤول عن هذا كله، أن علينا أن نعي تماما بأن التجاوزات اللامسؤولة، والتي تقع منا صباح مساء من ترك للأمر ومواقعة للنهي. واستجابة للهوى والشيطان وحب هذه الدنيا، والركون إليها والإخلاد إلى الأرض إنما هو تصدع في كيان هذه الأمة.

كن على ثقة أيها المسلم المبارك بأن شؤم المعصية لايضر صاحبها وحسب، بل هو شر على الأمة كلها، فهل نعي هذا، لنقف على حقيقة الخلل ومكمن الداء. إننا والله ما أصبنا بمثل هذه الويلات إلا بسبب ذنوبنا وتقصيرنا "واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب"

فمتى تعود؟ ومتى تفيق؟

إذا نزل العدو بساحتنا، هل ننتظر حتى نعاين العذاب ونذوق الضراء واللأواء؟

أم ننتظر حتى نعاين رسل ربنا تقبض أرواحنا؟ حينها لانيفع التحسر والندم.

"اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ماياتيهم من ذكر ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتاتون السحر وأنتم تبصرون"

فها نحن نرى المجازر كل يوم، صورا تلين لها صم الحجار، ونحن في غفلتنا سادرون نعاقر المعاصي ونلغو في الآثام، لنكن أكثر واقعية مع أنفسنا، وأكثر جرأة في اتخاذ قراراتنا، من منا ياترى وقف مع نفسه وقفة جد وهو يرى مايجري فعزم على تصحيح المسار وتهذيب الحال.

أين الفارون من المساجد؟

فليهرعوا إليها...

من أعلنها صريحة بالتوبة من كل مال حرام"؟

ربا كان أو غشا أو أكل مال اليتيم أو ارملة؟

من سعى إلى النجاة فرد المظالم إلى أهلها؟

إذا لم يكن اليوم، فمتى؟

متى يهجر الشباب والشيب حياة اللهو والعبث والمجون؟

متى سنرجع عن سماع أغنية ماجنة؟

متى سنرجع عن مشاهدة فيلم ساقط؟

إلى متى ونحن نسيئ العمل ونحسن الظن؟

لو أردنا النجاة لأحسنا العمل فأحسنا الظن. إلى متى؟ أحين ينادي:

"وانذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لايومنون"

إلى متى؟ أحين نقف هذا الموقف:

"ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد، لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد"

ياعباد الله... النجاة النجاة...

"إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولائك مأواهم النار بما كانوا يكسبون"

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بالقرآن المبين وبحديث سيد الأولين والآخرين وأجارني وإياكم من عذابه المهين، وغفر لي ولكم ولسائر المسلمين آمين.

والحمد لله رب العالمين

ويرحم الله عبدا قال آمين...

عبادة الحج ومقاصدها

■ إعداد الأستاذ: محمد حمان

1. فضل البيت ووجوب حجه:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فإن حج بيت الله الحرام من العبادات التي أوجبها الله جل علاه على المستطيعين من عباده المومنين، حيث قال سبحانه وتعالى في سورة آل عمران مبينا فضل البيت وموجبا لحجه: "إن أول بيت وضع للنبي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين سورة" آل عمران/الآية: 97.96.

فهذا النص القرآني هو الذي يبين فضل بيت الله الحرام في مكة المكرمة، ومنه استخلص العلماء المستنبطون للأحكام الشرعية من خلال النصوص القرآنية وجوب الحج على كل مستطيع من المسلمين ذكورهم وإناثهم بشرط أن يكونوا مكلفين، بمعنى أن يتوفر فيهم مناط التكليف الذي هو العقل والبلوغ، والاستطاعة فسرها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بالزاد والراحلة، وهذا التفسير النبوي في عمومه يصدق على كل زمان ومكان، وهو يستلزم الصحة والعافية كذلك، فسواء في ذلك الزمان أو في هذا الزمان أو في الأزمنة الآتية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمن الضروري أن تتوفر الاستطاعة في الذين يقصدون حج بيت الله الحرام.

2. مكانة بيت الله في نصوص القرآن:

وهذا النص القرآني المستشهد به على وجوب الحج ليس هو النص الوحيد الذي أورده الله في كتابه العزيز عن الحج ومناسكه، وإنما هناك نصوص أخرى كثيرة في القرآن الكريم جاءت موضحة وشارحة للأفعال المطلوبة من الحجاج والمعتمرين، أو مبينة ومفسرة لما ينبغي الابتغاء عنه في حق كل من قصد بيت الله الحرام حاجا أو معتمرا.

ونصوص كتاب الله التي تخص مناسك الحج تخللت عند سورة قرآنية، سواء في ذلك السور الطويلة أو غيرهما من السور القرآنية التي تحدثت عن أركان الحج واجباته ومنوعاته، ومايجب فيه الهدى، وماتجب فيه الفدية ومايجب فيه العوض المادي أو مايقوم مقامه من الصيام.

ومن السور التي كثرفيها الحديث عن متطلبات الحج سورة البقرة، ففي هذه السورة يحدثنا كتاب الله عن مكانة بيت الله الحرام، حيث جاء في بيان هذه المكانة العظيمة عند الخالق سبحانه قوله عز وجل "وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود" البقرة/الآية:125.

وعناية الله ببيته الحرام في مكة المكرمة تجليها آية أخرى في السورة نفسها، جاءت بعد آية واحدة من الآية السابقة، وهي قوله سبحانه وتعالى: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم" سورة البقرة/الآية:127..

فبأمر من رب العالمين قام نبي الله وخليل الله إبراهيم، عليه السلام، بتشييد البيت الحرام ورفع أركانه وقواعده الأساسية، يعينه في ذلك ابنه الأكبر إسماعيل، عليه السلام، وقد جعلا عملهما خالصا لوجه الله راجين منه سبحانه أن يتقبله منهما، فهو وحده المراقب لهما والعليم بقصدهما، وهما على يقين تام بأن الرب سبحانه وجل جلاله لايضيع أجر من أحسن عملا.

3. الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في الصلاة:

ويأبى الله إلا أن تستمر عنايته ببيته الحرام حتى تقوم الساعة، فبعدما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه المسلمون يتوجهون في صلاتهم إلى القبلة الأولى أي نحو بيت المقدس في مدينة القدس الشريف بفلسطين الواقعة على أرض الشام المباركة، جاء الأمر الإلاهي بالتوجه إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة وكان ذلك امتحانا عسيرا للناس في ذلك الوقت الحرج من حياة المسلمين؟ وذلكم الحدث العظيم تخلده آيات قرآنية كريمة أخرى من سورة البقرة كذلك أنزلها الله على رسوله الكريم محمد، عليه الصلاة والسلام، وفيها يقول ربنا عز وجل: "سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وماجعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وماكان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم، قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون، ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين، ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ماتكونوا يات بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير، ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون، ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون"سورة البقرة:الآية/150.142

نص الكلمة التي ألقاها العلامة أحمد أفزاز باسم الأمانة العامة لرابطة علماء المغرب في ذكرى تأبين المرحوم محمد السفياني رئيس فرع الرابطة بشفشاون سابقا

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الهادي من الضلال وعلى آله وصحبه الذين خلصت لهم الأعمال وصفت منهم الأحوال، وعلى جميع من اتبعهم فيها لهم من محامد الصفات ومحاسن الخلال.

وبعد نلتقي اليوم في هذا الزمان، وفي هذا المكان، وفي هذا اليوم والشهر والعام في ذكرى امتزجت بها في نفوسنا وقلوبنا وصدورنا الأحزان، لموت فقيدنا العزيز وشيخنا الكبير ورفيقنا في طلب العلم وفي الحياة الاجتماعية والثقافية بهذه المدينة الأستاذ محمد السفياني رحمه الله تعالى وغفر له وجعل روحه مع أرواح الأنبياء والرسل والصالحين والصادقين من المومنين المسلمين.

نعم نلتقي بمناسبة حدث هو الموت الذي زار بيت حبيبنا ونقله إلى عالم آخر، سينتقل إليه كل المخلوقات التي خلقها الله وقضى عليها بأن تعود إلى فضاء آخر دائم هيأه الله لها لتجد فيه ما قدمت من عمل وما أدت من خدمات.

ونقرأ بهذه المناسبة قول الله تعالى في سورة مريم: "والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا" وقوله تعالى في سورة آل عمران: "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله" ويقول في سورة غافر:" هو الذي يحيي ويميت، فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون" ويقول في سورة آل عمران كذلك:" كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة" وفي سورة العنكبوت : "كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون"

ونقرأ في ختام كلمة الموت قول الله تعالى في سورة الأنعام: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين"

ويعبر القرآن في سور أخرى عن الموت بالأجل والموت، أجل محدد من الله تعالى باللحظة والساعة يقول الله تعالى في سورة نوح: "إن أجل الله إذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون" ويقول في سورة المنافقون " ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها" وهكذا يذكرنا القرآن في كثير من الآيات والسور بالموت ونهاية الأجل.

وإذا رجعنا إلى تاريخنا الأول منذ عهد آدم عليه السلام نجد أول موت للإنسان وقعت في الوجود كانت ناتجة عن جريمة قتل مع سبق الإصرار، وبين أخوين شقيقين من أب واحد وأم واحدة ولكننا في نفس الوقت نعتبرها قضاءا وقدرا بعد وقوعها والله يفعل مايشاء ويقدر ما يريد، يقول الله تعالى إثباتا للواقعة بدون حاجة إلى بحث أو تحقيق "فطوعت له نفسه قتل أخيه، فقتله فأصبح من الخاسرين" الآية:30 من سورة المائدة، وهكذا فتح سجل الوفيات البشري وسيظل مفتوحا يستقبل المغادرين إلى أن تقوم الساعة ويفنى العالم.

وإذا كنا نتذكر الموت ونكتب عنه فإنه مصير حتمي في الكون لا للإنسان وحده ولكن لجميع المخلوقات المرئية وغير المرئية.

وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحياة والموت كثيرة، وإذا قرأنا فيها واحدا نجد له دلالة حية معنا في هذه المناسبة ونحن نعيش بعد وفاة أخينا وصديقنا الأستاذ محمد السفياني يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من إحدى ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" والمرحوم سيبقى هذا الحديث النبوي يعيش مع روحه إلى مايشاء الله، فحياته العلمية قضى فيها رحمه الله عدة عقود تتجاوز الأربعة مابين تدريس وخطابة ولو أحصيت صفحات العلم الذي بثه في صدور الناس مكتوبة أو مسجلة لملأت المكتبات والسجلات، ويبقى أسلوبه في الخطابة والوعظ والتوجيه الديني متميزا بالاختصار والتركيز وتحقيق الهدف في الانتفاع بعلمه، وله رحمه الله مصدر آخر لاستمرار الأجر والثواب ونتيجة العمل وهو تكوينه أسرة صالحة رباها على ماكان تربى عليه من صفات البر والخير والإحسان والعمل الصالح، والأبناء البررة الذي يحضرون معنا اليوم في هذه المناسبة شمعة من الصلاح تضيئ طريق الخير وتيسر السبيل للمحتاج حسبما ييسره الله عز وجل من أدوات وإمكانيات، وهو خير ينتفع به الحي ويستفيد منه الميت الذي غرس هذا النوع في السلوك في أبنائه وأسرته.

نؤكد للأسرة مشاركتنا لها في آلامها ومصابها باسم الأمانة العامة لرابطة علماء المغرب وندعو الله عز وجل أن يجعل حياتنا ومماتنا في طاعة الله ومرضاته.

اللهم يامن بيده القلوب أصلح قلوبنا، ويا من قلت في حلمه الذنوب اغفر ذنوبنا، ويامصلح الأسرار صف أسرارنا، ويامزيح الأكدار عف أكدارنا.

اللهم قد أتيناك طالبين فلا تردنا خائبين، وجئناك تائبين فاجعلنا برضاك آمنين واسلك بنا منهج المتقين وانقلنا من أهل الشمال إلى أهل اليمين ياأرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الجمعة13 شوال 1425
2004.11.26
احمد افزاز

تشطير الشيخ محمد بن يجبش على قصيدة البردة للبوصيري

■ إعداد الدكتورة
ربيعة بنويس
كلية الآداب
والعلوم
الإنسانية
القنيطرة

لقد أولع شعراء الغرب الإسلامي بصفة عامة بفن التخميس والتشطير وخاصة على القصائد النبوية المشهورة كالبردة لصاحبها البوصيري، والتي اهتم بها العديد من الشعراء، فمنهم من قام بتشطيرها ،ومنهم من قام بتخميسها ،ومن هؤلاء الشيخ ابن يجبش التازي الذي وجدنا له تشطيرا رائعا على هذه القصيدة يبلغ ثلاثمائة واثنين وثلاثين بيتا لم يشر إليه أحد ممن تعرض للتخمسيات والتشطيرات التي كانت على البردة ، ووجدنا له أيضا تخميس جميل أثنى عليه كل من الحضيكي وابن عسكر الذي قال:« وله على بردة البوصيري تخميس عجيب» وفيما يلي نصي التشطير والتخميس سنقدمهما على حلقات:

قال الشيخ ابن يجبش في تشطيره على البردة للبوصيري : (من البسيط)

الحلقة الأولى

أمن تذكر جيران بذي سلـــم ... ارقت ليلك حتى صرت لا تنـم
واقبل نصيحة من قد قال في حكم ... إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

من أجل ما بك من شوق ومن حـرق ... مزجت دمعا جرى من مقلة بـدم
وراعها وهي في الأعمال سائمة ... فهي الخؤون فمهما أفلتت تهـم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمـة ... ألقت إليك شذا من للكمال نـم
لا تأمنن مكرها فيما تحاولـه ... وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

أم جاء من قبل الأحباب وافدهـم ... وأومض البرق في الظلماء من أضم
كم حسنت لذة للمرء قاتـلة ... وهو في غفلة من فعلها الشبم

فما لعينيك إن قلت اكففا هتـا ... وما لقلبك إن قلت استفق يهـم
قد خدعته بما تبديه من حيل ... من حيث لم يدر أن السم في الدسم

أيحسب الصب أن الحب منكتـم ... ما بين منسجم منه ومضطـرم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع ... بل التوسط قد يرجى لمغتـنم

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلـل ... ولا أرقت لذكر البان والعلم
نهج السلامة بين الحالتين بدا ... فرب مخمصة شر من التخم

ولا قصدت خيال النوم مرتقبـا ... ما قد عهدت من الأشواق[1] والحـرم
واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت ... من المعاصي التي لم تحص بالقلم

ولا أعارتك ثوبي عبرة وظلـا ... ذكرى الخيام وذكرى ساكن الخيـم
وأغمض العين عن إدراك شهوتها ... من المحارم والزم حمية الندم

والبستك رداءي مزنة وجـوا ... عليك أهل الوفى والصدق في الكلـم
وخالف النفس والشيطان واعصهما ... تنل مناك وترقى في علا الشيم

فكيف تنكر حبا بعد ما شهـدت ... به عليك عدول الدمع والسقـم
واحذرهما وتأمل في أحيالهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهـم

فليس عارا فلا تجحد قد اعترفـت ... وصار نومي طوال الليل كالعـدم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما ... عساك تسلم يوم الحشر من نقم

نعم سرى طيف من أهوى فارقنـي ... والحب يعترض اللذات بالألـم
وكن على حذر من شر كيدهما ... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

والقلب أضحى أسير الوجد في قلـق ... فاقبل وسامح وغض البصر عن حرم
أستغفر الله من قول بلا عمل ... عساه يغفر فضلا قبح مجترم

يا لائمي في الهوى العذري معـذرة ... مني إليك ولو أنصفت لم تلـم
أقول قولا ولم أعمل بموجبـه ... لقد نسبت به نسلا لذي عقـم

ولا تذودت قبل الموت[1] نافلة ... بالعدل منتقم عن كل مستلـم
أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به ... فكيف ينفع قول العاطل البـرم

ولا أتيت بما يرجى الخلاص به ... عن الوشاة ولا دائي بمنحسم[3]
لم أشتغل بمعاني ما أتيت به ... وما استقمت فما قولي لك استقم

ظلمت سنة من أحيى الظلام إلى ... كذاك أهل الهوى في صدق حبهم
ولم أصل سوى فرضي ولم أصم

وقد يدعو لمولاه الكريم إلى ... إن المحب عن العذال في صمم
أن نال ما لا يطيق الخلق من ألم

وشد من سغب أحشاءه وطوى ... وهو أبلغ نصحا من نصيح فم
تكرما عن طباع الغافل النهم

لم يلتفت للدنا بغضا لها ولوى ... والشيب أبعد في نصح عن التهم
تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

وراودته الجبال[1] الشم من ذهب ... ولا تحلت بشيء من حلى الندم
فلم يردها لما في الفقر من كـرم

من جهلها بنذير الشيب والهـرم
من قد أتى حبيبا بأبلغ الحكـم
ضيف ألم برأسي غير محتشـم
رفعت مقداره في أرفع الهمـم
كتمت سرا بدا لي منه بالكتـم
فقد طغت وعتت في كل مجتـرم
كما يرد جماح الخيل باللجـم
فذاك لا يبتغي للعاقل الفهـم
إن الطعام يقوي شهوة النهـم
ما رام من مشتها من أفضل النعـم
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
فهو أشد العدا بل شر مختصم

جامع القرويين في عصر الأدارسة

■ اعداد الأستاذ: الحسن السايح

■ شرع في بناء القرويين (فاتح رمضان 245 ، 30 نونبر 859م وعثر المؤرخ على لوحة نحت عليها داود إدريس كمؤسس للقرويين بينما تذكر المصادر التاريخية أن المؤسس هي فاطمة الفهرية أو فاطمة الهوارية.. وتألف المسجد أول الأمر من أربعة بلاطات ابتداء من القبلة ، ولكل بلاط 12 قوسا من الشرق إلى الغرب ثم في عهدالأمير أحمد بن أبي بكر الزناتي وبإعانة مالية من الخليفة الأموي عبد الرحمان الثالث ، زيد في بناء القرويين فبلغت ثلاثة عشر أسكوبا وثمانية عشر بلاطا وكانت القرويين قريبة الشبه بمسجد قرطبة الذي شيده عبد الرحمان الداخل الأموي على غرار المسجد الأموي بدمشق ونقلت الخطبة إليها ، وفي عهد يوسف المرابطي أضاف القاضي عبد الحق ابن معيشة زيادات أخرى ، فأصبحت القرويين تتألف من 16 اسكوبا و 11 بلاطا. وكان سلاطين الدول يؤدون صلاة الجمعة بالقرويين عندما يقيمون بمدينة فاس ويصلي السلطان في (أفراك) وهو مركب خشبي أما المحراب يصلي فيه السلطان صيانة له ، والأفراك يعني، أيضا، خيمة كبيرة من نسيج غليظ مقسم إلى بيوت وأبهاء كالمنزل ينصب للسلطان في أسفاره للإقامة به، ومنذ بنائها وهي مركز دراسي يشرف على التعليم فيها قاضي العاصمة كما يشرف المفتي على القضايا الإحسانية والشرعية ، وبنيت بجانب القرويين مدارس لإيواء الطلبة ، ومن أقدمها في عهد المرابطين مدرسة الحلفاويين ومدرسة الصهريج ثم مدرسة العطارين ، ومدرسة الوادي ومدرسة الخصة والمدرسة البوعنانية (المرينية) كما بنيت بها خزائن علمية .. وقد شابهت القرويين في بنائها مسجد قرطبة لذلك كانت القبلة على السمت، ثم ظهر بعد ذلك ميل القبلة، فرسمت القبلة الصغيرة تشير إلى الانحراف ووسع الزناتيون القرويين فزادوا بها، ونقلوا الخطبة إليها وهدموا الصومعة الأولى وبنوا مكانها أخرى ، ذات عدة درج ، وغشوا بأبها الكبير بصفائح النحاس الأصفر سنة 345 وجعلوا في أعلى الباب قبة صغيرة وضع في ذروتها تفافيح مموهة بالذهب في زج من حديد أثبت فيه سيف المولى إدريس ، وتحت هذه ، قبة أخرى أكبر منها للمؤذنين، وفي المنارة بيت للمؤقت ورخامة شمسية وساعات رملية وساعة مائية واسطرلابات وربعات مجيبة أما أكبر ساعة مائية فكانت في مواجهة المدرسة البوعنانية المرينية، وهي ساعة تعلن عن الأوقات 36 بعدد 9 بكرات التي تسقط في الطاقات ، وفي سنة (388) صنع المظفر بن المنصور إلى عامر منبرا للقرويين من عود الأبنوس والعناب ، وزيدت بالقرويين زيادات وإضافات في عصر المرينيين والسعديين والعلويين.. ولما جاء الموحدون وكانوا يتهمون المرابطون بالتجسيم، ويكرهون الزخرفة في المساجد، طمس المشرفون على القرويين ما بها من روائع الفن ، كما فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز بجامع دمشق لما في ذلك من ملهيات عن العبادة (كما ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان ج.2).

وعلى غرار جامع القرويين بني جامع الأندلسيين ، وكان فيه(6) بلاطات وصحن صغيرة، وزاد فيه عامل الناصر الصومعة سنة 354 ثم زيدت فيه إضافات أخرى ، وما يزال البناء القديم في القرويين يحتفظ بالطابع القيرواني وما تزال الصومعة القروية التي بنيت في عهد الزناتيين سنة 340 تحتفظ بالشكل القيرواني أيضا.

وبدون شك فقد كان يوجد فن رقيق كما يتجلى ذلك في منبر المولى إدريس الثاني المحتفظ به إلى نهاية القرن السادس الهجري ، والذي شاهده مؤلف المقباس ونقل وصفه صاحب جذوة الاقتباس..

وقداستمد الأدارسة التصميمات الهندسية من الفن الأندلسي الذي يرجع للتأثير البزنطي والقيرواني المتأثر بالقرطاجي ، فكانت المدن تحاط بأسوار والمواد الأساسية في البناء من الآجر والجبص والطوب والمرمر ، ويوجد بتونس سور جراوي بالطوب يرجع لسنة 257 ،(انظر كتاب الفن الإسلامي 338ج.1) كما أن رقادة المبنية سنة 294 بنيت كذلك بالطوب، أما جامع القرويين ممحى بالجبص والمرمر والآجر سنة 252 وبعد قيام الفتنة بين أعقاب الأدارسة وبين الأندلسيين والفاطميين تزايد عدد الأبراج والأسوار المحيطة بالمدن.

انظر: الحضارة المغربية ج 2

إعلان

يعلم المجلس العلمي لكافة خطباء الجمعة بالرباط وتمارة والصخيرات أنه سينظم لقاء تواصليا تدريبيا لفائدتهم يوم السبت 2004/12/18 بمقر المجلس ستلقى فيه عروض نظرية هامة وخطب تطبيقية يلقيها أساتذة كفاة لهم باع طويل في الميدان.

والدعوة عامة

تأملات ومواعظ

الأستاذ: محمد الأخضر الريسوني

الأمر بالمعروف من صفات المؤمنين

■ حياة الانسان في دنياه لا تخلو من الخطأ، ومن الزلل والهفوات، وقل من لايخطئ ، وفي الحديث :«إن ابن آدم خطاء ، وخيركم الخطاؤون التوابون» وفي التاريخ القديم ابتدأ سيدنا آدم عليه السلام بأول خطأ عند ما أكل من شجرة الجنة وهي محرمة عليه «فعصى آدم ربه فغوى»، ومن قبل أن يقع آدم في الخطأ ، وقع إبليس في خطأ العصيان ، فعصى هو الآخر ربه، ولم ينفذ أمر الله بالسجود لآدم.

وعفا الله عن آدم ، ولعن ابليس، والسبب في الغفران لهذا واللعن لذاك ، هو أن آدم استغفر واعترف بذنبه وتاب منه ، أما إبليس فقد ظل يجادل وأصر على خطئه ، وذاك هو الفرق بين آدم وإبليس ، كالفرق بين التوبة من الذنب والإصرار عليه ، وتفاوت درجات الخطأ ابتداء بالشر والكفر وبقية الكبائر ، وانتهاء بالصغائر والهفوات ومن هنا جاء دور المصلحين في تقويم الاعوجاج وإصلاح الأخطاء، ومن هنا ،أيضا، جاءت العقوبات المتفاوتة في كبرها وصغرها لتتناسب مع كبر الخطأ وصغره، وهكذا نشأ ما يدعى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في العرف الاسلامي وصار من سمات المجتمع المسلم، وعلامة المؤمنين.

وكما أن المسلم مطالب بالأمر بالمعروف ، مطالب ،أيضا، بالستر على المخطئ ، كي يفسح له مجال العودة إلى حظيرة الإيمان والفضيلة ، إذ ربما يكون التشهير به سببا في قطع خط الرجعة عليه أو دفعه إلى الإصرار على الذنب ، من أجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ستر مسلما ستره الله يوم القيامه، ومن فضح مسلما فضحه الله، ومن تتبع عورة مسلم ليفضحه تبع الله عورته ، وفضحه في عقر داره».

إذن: فالغاية من الأمر بالمعروف هو إصلاح الخطأ وتنقية مجتمع المسلمين من الأدران وتهذيب سلوكه ، وفتح الطريق أمام المسلم إلى الله، وليس الغرض التشهير والانتقام.

وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهنة سهلة يسهل على كل واحد مزاولتها، بل تحتاج إلى شروط لا تتوفر في كل الناس ، وقد تكلم الفقهاء، عن هذه الخصلة لكنهم علقوا تنفيذها على الاستطاعة ويسمونها في الفقه الإسلامي بالحسبة وهي وظيفة اجتماعية يقوم بها المسؤولون في الدولة وتنظيمها ، كما يقوم بها الأفراد ، وغايتها قمع الغش ، وهي صفة حميدة من صفات المؤمنين الذين قال الله سبحانه في حقهم : «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر».

التفسير الإجمالي لسورة هود

■ إعداد الأستاذ محمد المهدي بوزيد

سورة هود مكية وآياتها ثلاث وعشرون ومائة ، نزلت سورة (هود) بعد سورة يونس وبعدها سورة (يوسف) ، ومعناه أن الترتيب المصحفي يوافق ترتيب النزول . وكل من سورة هود وسورة يوسف نزلتا في الفترة العصيبة التي كان يعيشها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجته السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فاشتد أذى المشركين على الرسول . صلى الله عليه وسلم ، وعلى أصحابه، وبلغت الحرب المعلنة عليه وعلى دعوته أقصى مداها.

ففي هذه الفترة العصيبة نزلت سورة (هود) وفيها قصص الأنبياء وما حدث لهم من أنواع الابتلاء ، وتأسيا بهم في الصبر والثبات والثقة وهو يتلقون الإعراض والتكذيب والسخرية والاستهزاء والتهديد والأذى.

أما إسنادها إلى نبي الله (هود) في التسمية رغم أنها تشمل قصص الكثير من السادة الأنبياء، ورغم أن رسول الله (ﷺ). ميزها بقوله (شيبتني هود وأخواتها) لذكر الآية الكريمة ، فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير، الآية (112) فإن تسميتها بسورة (هود) يرجع إلى كون هذا النبي تميز عن إخوانه الأنبياء المذكورين معه في هذه السورة بالتحدي الكبير للكفار المعارضين كما جاء في قوله تعالى. على لسانه ،...قال اني أشهد الله ، واشهدوا اني بريء مما تشركون(54) من دونه. فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون(55) إني توكلت على ربي وربكم ، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها. إن ربي على صراط مستقيم (56) . وكأن الإشارة أن (هودا) عليه السلام يجب أن يتخذ نموذجا للدعوة إلى الله.

كما أن سورة (هود نزلت بعد سورة (يونس) كما سبقت الإشارة إلى ذلك وكأنها إتمام لها إذ نلاحظ أن سورة (يونس) قد تطرقت إلى قصة نوح بغير تفصيل دقيق خلافا لقصة موسى مع فرعون . ثم أشارت إلى قصة نبي الله (يونس) ، التي لم تدرج على الإطلاق في سورة هود حيث فصلت (نوح)تفصيلا دقيقا وكذلك الأنبياء الذين في سورة (يونس) وهم :(صالح وشعيب وهود ...) مع الإشارة الخفيفة لكل من (إبراهيم ولوط وموسى مع فرعون) عليهم جميعا الصلاة والسلام. أما التناسق بين دعوة هؤلاء الأنبياء ودعوة رسول الله (محمد) (ﷺ) فستطلع عليه من خلال تقسيم هذه السورة إلى أفكار عامة.

1 . الفكرة العامة الأولى من سورة هود: من بداية السورة :(الر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير(1) إلى قوله تعالى » مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع . هل يستويان مثلا أفلا تذكرون 24«

هذا المقطع من السورة يتضمن حقائق العقيدةفي مقدمة السورة على هيأة تقرير عام لما جاء به رسول الله محمد (ﷺ) . مركزا هذا التقرير على إحكام القرآن الكريم وتفصيله والدعوة إلى عبادة الله وتوحيده والإنابة إليه، والإيمان بالبعث والجزاء في عالم الآخرة .. ثم إن العبادة الخالصة لله تعالى تتطلب الاستغفار والتوبة وذلك بالتخلي عن سيرة الكفر والشرك ، والرجوع إلى الله بالطاعة والعبادة ، فالإنسان لايدرك مدى نعم الله عليه ولا يقدرها حق قدرها رغم انه مغمور بأفضال الله التي لا تحصى ، بل وقد استبد بهذا الإنسان الغرور والطيش الذي دفع به أن يقف من القرآن والنبي ودعوة الإسلام موقف المعاند والمكابر مستعملا في ذلك أساليب ملتوية إلى درجة أن الكفار طلبوا من رسول الله(ﷺ) أمور تعجيزية غير متفقة مع أصول المنهج العقلاني ، فكان الرد على هؤلاء في الحين بتثبيت الرسول بأنه على الحق ، وبتقسيم الناس إلى فئتين: فئة المؤمنين المحسنين ، وفئة الكافرين المسيئين ، ولكل من الفئتين جزاء ناشئ حسب الأعمال التي يمارسها كل فرد : فأهل الإيمان هم أهلم الجنة خالدين فيها ، وأصحاب الجحود والكفر والظلم هم الملعونون في الدنيا الخاسرون في الأخرة المعذبون في نيران الجحيم عذابا مضاعفا ، وخير مثال ضربه الله تعالى لهذه الفئة بقوله سبحانه (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون 24).

2 الفكرة العامة الثانية من سورة هود: من قوله تعالى»ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه، إني لكم نذير مبين 25« إلى قوله تعالى »واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بيس الرفد المرفود99« .

هذا المقطع يشغل معظم سياق السورة ويتضمن عموما حركة العقيدة عبر المراحل التاريخية ، كما أن هذا المقطع من السورة هو الذي يناسب تهدئة روع النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، لما حدث له عام الحزن.

فالمقطع الأول كان عبارة عن ديباجة ومدخل لهذا المقطع الثاني الذي يعتبر نموذجا وإخبارا عن سنة حياة الأنبياء على مدار التاريخ وان لم يذكروا . عليهم السلام. بكاملهم في هذه السورة إلا أن المذكورين منهم كانت معارضتهم بارزة كما أن إلحاق أقوامهم بالعذاب هو الأخر كان بارزا.

وأول نموذج هو نبي الله (نوح). عليه السلام. مع قومه ، أرسل إليهم يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده فما آمن معه إلا قليل ، وبدل أن يتبعوه لما دعاهم إليه سخروا منه واستعجلوا عذاب الله فما كان إلا أن أمره الله تعالى بصنع الفلك حيث ركب نوح وأتباعه من المؤمنين فأنجاهم من الطوفان الذي أرسل على المشركين فأغرقوا جميعا..

وبعد ذلك تطرقت الآيات إلى قصة نبي الله (هود). عليه السلام. والذي سميت السورة باسمه والذي أرسل إلى قومه (عاد) العربية التي كانت تسكن الأحقاف، فقد دعاهم نبيهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما دعاهم إلى الاستغفار والتوبة لكنهم اصروا على عبادة أصنامهم المزعومة ودخلوا مع (هود) في التحدي فكانت نهايتهم كنهاية كل الكفرة والطغاة المعارضين لدعوة الرسل نهاية وخيمة فأصابهم الهلاك والتدمير ، ثم أتبعوا في الدنيا وفي الأخرة لعنة دائمة.

ثم جاءت قصة نبي الله (صالح). عليه السلام. مع قومه (ثمود) وهي قصة لاتختلف عن سابقاتها فهناك تشابه في النظم بين قصة (هود) وقصة (صالح) إلا أن هذا الأخير أضاف الدليل على دعوته بان بين لهم أن الله تعالى هو الذي أنشأ الأرض ثم استعمرهم فيها.

وأمرهم هو الأخير بالتوحيد والاستغفار والتوبة، لكن الجحود والمعارضة لا يتغيران وبنفس الحدة فجاءهم نبيهم بمعجزة الناقة التي عقروها فتسبب ذلك في إلحاق العذاب بهم عذابا استئصاليا انتهى به قوم (ثمود)...

ومر السياق مباشرة إلى حديث خفيف ذكر فيه بشارة نبي الله إبراهيم. عليه السلام. بولده إسحاق من سارة عن طريق رسل من الملائكة سلطوا في نفس الوقت على قوم نبي الله (لوط) عليه السلام فدمروا القبيلة جميعها صبحا والناس نيام إلا لوطا وأهله. دون امرأته كانوا من الناجين .

ثم انتقل الكلام إلى الحديث عن قصة نبي الله (شعيب) . عليه السلام. في تبليغه للدعوة إلى أهل (مدين) ، ومناقشتهم له ورده عليهم ، وقد كان من خصالصهم النقصان في الكيل والميزان وإلحاق الظلم والجور بالناس في المعاملة ، وقطع الطريق ، فنهاهم (شعيب) عن أفعالهم وهو ينذرهم ويذكرهم بما أصاب الأقوام السالفة من عاد وثمود وقوم لوط .. وبعد نفاذ كل المحاولات مع أهل مدين نزل بهم عقاب الله وهو عبارة عن صيحة من السماء أقعدت كل الناس في مكانهم جاثمين ، ونجا شعيب ومن آمن معه.

وآخر قصة وردت في هذا المقطع هي قصة رسول الله (موسى) . عليه السلام . مع فرعون ، فقد أرسل الله تعالى موسى. عليه السلام . مزودا بآيات وسلطان مبين ولعل ذلك هي الآيات التسع وهي: العصا، واليد البيضاء، والطوفان ، والجراد ، والقمل، والضفادع، والدم ، ونقص في الثمرات ثم السنون القاحلة ، لكن الكفار فضلوا اتباع فرعون. وما أمر فرعون برشيد . ومعناه أن فرعون يدعي الألوهية ولكنه لم يستطع أن يبعد عن القوم آيات موسى الفتاكة بهم فأخبر الله تعالى بأنه (أي فرعون) سيتقدم قومه يوم القيامة إلى الدخول إلى النار ، مع أنهم يعذبون أيضا، في قبورهم منذ موتهم إلى يوم القيامة كل يوم صباحا ومساءا كما أثبت الله تعالى ذلك في قوله في سورة غافر، وحاق بآل فرعون سوء العذاب (45) النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون سوء العذاب (46) ، ولقوله تعالى في سورة هود، وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة ، بيس الرفد المرفود 99«.

الفكرة الثالثة من سورة هود : من قوله تعالى» (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد (100) إلى قوله تعالى في آخر سورة هود ، ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله. فاعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون « 123 .

إذا كان هذا المقطع الأول (الفكر العامة الأولى) يعتبر مدخلا قبل عرض الحقيقة العقدية عبر التاريخ فإن هذا المقطع (الفكرة العامة الثالثة) جاء كتعقيب على هذه الحركة فتبين ما في هذه القصص من العظة والعبرة كدليل على صدق نبوة (محمد) ، صلى الله عليه وسلم . إذ فيه خبر عن أوضاع القرى الغابرة المعاقبة، وقد أخبر بذلك رسول الله من غير مطالعة ولا مدارسة... وأن عقابهم كان قائما على العدل وعدم الظلم بل كان نتيجة ظلمهم لأنفسهم بتكذيبهم للرسل وكفرهم بربهم ، وفي ذلك اعتبار واتعاظ وإنذار وتحذير من سوء عاقبة الظلم في الدين والانحراف عن مقتضى اليقين بالله تعالى.

أما اختلاف الناس في الأمور الأساسية في الدين فهو الأخر ساري في سنة الله في عباده، فبنو إسرائيل اختلفوا في كتابهم التوراة من بعد موسى، وبذلك كان التوجيه مركزا نحو أمة رسول الله . صلى الله عليه وسلم في هذا المقطع من السورة بدءا به عليه الصلاة والسلام باعتباره القائد والمقدم ، فخاطبه الله تعالى بقوله » فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير، 119 .ثم نبه سبحانه إلى خطر الميل مع الظالمين فإن طريقتهم تؤدي إلى الهلاك الدائم . وهو هلاك لا يمس المؤمنين الذين يلتزمون بإقامة الصلاة النهارية والليلية وفعل الخيرات..

ثم جاء في آخر السورة الكريمة تذكير بهدف أو بسبب نزولها في هذا الوقت بالذات الذي تزامن مع بداية معاناة رسول الله من الكفار بعد موت عمه أبي طالب وزوجته السيدة خديجة رضي الله عنها ، فأخبر الله تعالى أن مغزى تلك القصص محصورة في فائدتين:

الأولى : تثبيت الفوائد على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى . والثانية: بيان ما هو حق وموعظة للمؤمنين.

ثم ختم الله . تعالى . هذه السورة بما بداها به هو الأمر بالعبادة والتوكل على الله وعدم المبالاة بعداوة المشركين.

وواضح أن مقاطع السورة بجملتها متناسقة في تقرير الحقائق الاعتقادية الأساسية التي يستهدفها سياق السورة الشامل على التقرير والقصص والتوجيه..

انتهى التفسير الإجمالي لسورة هود وبالله التوفيق..

معرفة الصحيح من الحديث

تأليف الحافظ أبي عمرو المعروف بابن الصلاح

■ اعلم علمك الله وإياي، أن الحديث عند أهله ينقسم إلى صحيح وحسن وضعيف.

أما الحديث الصحيح فهو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولايكون شاذا ولا معللا. وفي هذه الأوصاف احتراز عن المرسل والمنقطع والمعضل والشاذ وما فيه علة قادحة ، وما في روايته نوع حرج وهذه أنواع يأتي ذكرها إن شاء الله تبارك وتعالى .

فهذا هو الحديث الذي يحكم له بالصحة بلا خلاف بين أهل الحديث.

وقد يختلفون في صحة بعض الأحاديث لاختلافهم في وجود هذه الأوصاف فيه أو لاختلافهم في اشتراط بعض هذه الأوصاف كما في المرسل.

ومتى قالوا هذا حديث صحيح فمعناه أنه اتصل سنده مع سائر الأوصاف المذكورة وليس من شرطه أن يكون مقطوعا به في نفس الأمر ، إذ ما ينفرد بروايته عدد واحد وليس من الأخبار التي أجمعت الأمة على تلقيها بالقبول ، وكذلك إذا قالوا في حديث إنه غير صحيح فليس ذلك قطعا بأنه كذب في نفس الأمر إذ قد يكون صدقا في نفس الأمر وإنما المراد به أنه لم يصح إسناده على الشرط المذكور والله أعلم.

فوائد مهمة:

إحداها . الصحيح ينقسم إلى متفق عليه ومختلف فيه..... وينقسم إلى مشهور وغريب وبين ذلك.

ثم إن درجات الصحيح تتفاوت في القوة بحسب تمكن الحديث من الصفات المذكورة التي تبتنى الصحة عليها وتنقسم باعتبار ذلك إلى أقسام يستعصى إحصاؤها على العاد الحاصر.

ولهذا نرى الإمساك عن الحكم لإسناد أو حديث بأنه الأصح على الإطلاق على أن جماعة من أئمة الحديث خاضوا غمرة ذلك فاضطربت أقوالهم.

فروينا عن إسحاق بن راهويه أنه قال : أصح الأسانيد كلها الزهري عن سالم عن أبيه وروينا نحوه عن أحمد بن حنبل وروينا عن عمر بن علي الفلاس إنه قال أصح الأسانيدمحمد بن سيرين عن عبيدة عن علي.

وروينا نحوه عن علي بن المديني وروى ذلك عن غيرهما . ثم منهم من عين الراوي عن محمد وجعله أيوب السختياني ومنهم من جعله ابن عون.

وفيما نرويه عن يحيى بن معين أنه قال: أجودها الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله.

وروينا عن أبي بكر بن أبي شيبة قال : أصح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي.

وروينا عن أبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح أنه قال: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر وبنى الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي على ذلك أن أجل الأسانيد الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر.

واحتج بإجماع أصحاب الحديث على أنه لم يكن في الرواة عن مالك أجل من الشافعي رضي الله عنهم أجمعين والله أعلم.

الثانية . إذا وجدنا فيما يروى من أجزاء الحديث وغيرها حديثا صحيح الإسناد ولم نجده في أحد الصحيحين ولا منصوصا على صحته في شيء من مصنفات أئمة الحديث المعتمدة المشهورة فإنا لا نتجاسر على جزم الحكم بصحته فقد تعذر في هذه الأعصار الاستقلال بإدراك الصحيح بمجرد اعتبار الأسانيد لأنه ما من إسناد من ذلك إلا وتجد في رجاله من اعتمد في روايته على مافي كتابه عريا عما يشترط في الصحيح من الحفظ والضبط والإتقان فآل الأمر إذا في معرفة الصحيح والحسن إلى الاعتماد على ما، نص عليه أئمة الحديث في تصانيفهم المعتمدة المشهورة التي يؤمن فيها لشهرتها من التغيير والتحريف وصار معظم المقصود بما يتداول من الأسانيد خارجا عن ذلك إبقاء لسلسلة الإسناد التي خصت بها هذه الأمة . زادها الله تعالى شرفا آمين.

الثالثة . أول من صنف الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم ، وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري من أنفسهم. ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه يشاركه في أكثر شيوخه وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز.

وأما ما رويناه عن الشافعي رضي الله عنه من أنه قال : ما أعلم في الأرض كتابا في العلم أكثر صوابا من كتاب مالك، ومنهم من رواه بغير هذا اللفظ، فإنما قال ذلك قبل وجود كتابي البخاري ومسلم . ثم إن كتاب البخاري أصح الكتابين صحيحا وأكثرهما فوائد.

وأما ما رويناه عن أبي علي الحافظ النيسابوري أستاذ الحاكم أبي عبد الله الحافظ من أنه قال: ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم بن الحجاج ، فهذا وقول من فضل من شيوخ المغرب كتاب مسلم على كتاب البخاري ، إن كان المراد به أن كتاب مسلم يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح فإنه ليس فيه بعد خطبته إلا الحديث الصحيح مسرودا غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري في تراجم أبوابه من الأشياء التي لم يسندها على الوصف المشروط في الصحيح فهذا لابأس به وليس يلزم منه أن كتاب مسلم أرجح فيما يرجع إلى نفس الصحيح على كتاب البخاري.

وإن كان المراد به أن كتاب مسلم أصح صحيحا فهذا مردود على من يقوله والله أعلم.

الرابعة . لم يستوعبا الصحيح في صحيحيهما ولا التزما ذلك ، فقد روينا عن البخاري أنه قال : ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح ، وتركت من الصحاح لملال الطول.

وروينا عن مسلم أنه قال : ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا . يعني في كتابه الصحيح . إنما وضعت هاهنا ماأجمعوا عليه. قلت: أراد . والله أعلم . أنه لم يضع في كتابه إلا الأحاديث التي وجد عنده فيها شرائط الصحيح المجمع عليه وإن لم يظهر اجتماعها في بعضها عن بعضهم.

ثم إن أبا عبد الله بن الأخرم الحافظ قال : قل ما يفوت البخاري مسلما مما يثبت من الحديث يعني في كتابيهما.

ولقائل أن يقول : ليس ذلك بالقليل فإن المستدرك على الصحيحين للحاكم أبي عبد الله كتاب كبير يشتمل مما فاتهما على شيء كثير وإن يكن عليه في بعضه مقال فإنه يصفو له منه صحيح كثير . وقد قال البخاري : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح.

وجملة ما في كتابه الصحيح سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا بالأحاديث المكررة ، وقد قيل إنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث إلا أن هذه العبارة قد يندرج تحتها عندهم آثار الصحابة والتابعين وربما عد الحديث الواحد المروي بإسنادين حديثين.

ثم إن الزيادة في الصحيح على ما في الكتابين يتلقاها طالبها مما اشتمل عليه أحد المصنفات المعتمدة المشهورة لأئمة الحديث ، كأبي داود السجستاني ، وأبي عيسى الترمذي ، وأبي عبد الرحمن النسائي، وأبي بكر بن خزيمة، وأبي الحسن الدارقطني وغيرهم منصوصا على صحته فيها، ولا يكفي في ذلك مجرد كونه موجودا في كتاب أبي داود وكتاب الترمذي وكتاب النسائي وسائر من جمع في كتابه بين الصحيح وغيره، ويكفي مجرد كونه موجودا في كتب من اشترط منهم الصحيح فيما جمعه ككتاب ابن خزيمة. وكذلك ما يوجد في الكتب المخرجة على كتاب البخاري وكتاب مسلم ككتاب أبي عوانة الإسفرائيني وكتاب أبي بكر الإسماعيلي وكتاب أبو البرقاني وغيرهما، من تتمة لمحذوف أو زيادة شرح في كثير من أحاديث الصحيحين، وكثير من هذا موجود في الجمع بين الصحيحين لأبي عبد الله الحميدي.

واعتنى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بالزيادة في عدد الحديث الصحيح على ما في الصحيحين ، وجمع ذلك في كتاب سماه " المستدرك" أودعه ما ليس في واحد من الصحيحين مما رآه على شرط الشيخين قد أخرجا عن روايته في كتابيهما أو على شرط البخاري وحده أو على شرط مسلم وحده، ومما أدى اجتهاده إلى تصحيحه وإن لم يكن على شرط واحد منهما وهو واسع الخطو في شرط الصحيح متساهل في القضاء به فالأولى أن نتوسط في أمره فنقول: ما حكم بصحته ولم نجد ذلك فيه لغيره من الأئمة إن لم يكن من قبيل الصحيح فهو من قبيل الحسن يحتج به ويعمل به إلا أن تظهر فيه علة توجب ضعفه.

ويقاربه في حكمه صحيح أبي حاتم ابن حبان البستي رحمهم الله تعالى أجمعين والله أعلم.

الخامسة . الكتب المخرجة على كتاب البخاري أو كتاب مسلم رضي الله تعالى عنهما، لم يلتزم مصنفوها فيها موافقتهما في ألفاظ الأحاديث بعينها من غير زيادة ونقصان لكونهم رووا تلك الأحاديث من غير جهة البخاري ومسلم طلبا لعلو الإسناد فحصل فيها بعض التفاوت في الألفاظ.

وهكذا ما أخرجه المؤلفون في تصانيفهم المستقلة كالسنن الكبير للبيهقي ، وشرح السنة لأبي محمد البغوي وغيرهما مما قالوا فيه أخرجه البخاري أو مسلم ، فلا يستفاد بذلك أكثر من أن البخاري أو مسلما أخرج أصل ذلك الحديث مع احتمال أن يكون بينهما تفاوت في اللفظ وربما كان تفاوتا في بعض المعنى، فقد وجدت في ذلك ما فيه بعض التفاوت من حيث المعنى .

وإذا كان الأمر في ذلك على هذا فليس لك أن تنقل لك حديثا منها وتقول هو على هذا الوجه في كتاب البخاري أو في كتاب مسلم إلا أن تقابل لفظه أو يكون الذي خرجه قد قال أخرجه البخاري بهذا اللفظ بخلاف الكتب المختصرة من الصحيحين فإن مصنفيها نقلوا فيها ألفاظ الصحيحين أو أحدهما ، غير أن الجمع بين الصحيحين للحميدي الأندلسي منها يشتمل على زيادة تتمات لبعض الأحاديث، كما قدمنا ذكره. فربما نقل من لا يميز بعض ما يجده فيه عن الصحيحين أو أحدهما وهو مخطئ ، لكونه من تلك الزيادات التي لا وجود لها في واحد من الصحيحين.

ثم إن التخاريج المذكورة على الكتابين يستفاد منها فائدتان :

إحداهما . علو الإسناد.

والثانية- الزيادة في قدر الصحيح لما يقع فيها من ألفاظ زائدة وتتمات في بعض الأحاديث يثبت صحتها بهذه التخاريج لأنها واردة بالأسانيد الثابتة في الصحيحين أو أحدهما، وخارجة من ذلك المخرج الثابت والله أعلم.

السادسة- ما أسنده البخاري ومسلم رحمهما الله في كتابيهما بالإسناد المتصل فذلك الذي حكما بصحته بلاإشكال.

وأما المعلق وهو الذي حذف من مبتدأ إسناده واحد أو أكثر فأغلب ما وقع ذلك في كتاب البخاري وهو في كتاب مسلم قليل جدا ففي بعضه نظر.

وينبغي أن نقول : ما كان من ذلك ونحوه بلفظ فيه جزم، وحكم به على من علقه عند فقد حكم بصحته عنه . مثاله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا قال ابن عباس كذا ، قال مجاهد كذا، قال عفان كذا، قال القعنبي كذا، وروى أبو هريرة كذا وكذا وما أشبه ذلك من العبارات، فكل ذلك حكم منه على من ذكره عنه بأنه قد قال ذلك ورواه فلن يستجيز إطلاق ذلك إلا إذا صح عنده ذلك عنه.

تابع

لمحات ومواقف في حياة الشيخ عبد القادر الجيلاني

الحلقة الأولى

■ إعداد الطاهر العروسي

■ من الأمور الملفتة لنظري وأنا أهم بتناول الحديث عن الشيخ ، عبد القادر الجيلاني بأن عامة المغاربة ينظرون إلى هذا الشيخ الجليل سيدي عبد القادر الجيلاني بمنظار التقدير والاحترام ، ويتحدثون عن كراماته وفضائله وأقواله وتوجهاته الحكيمة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

فمن هو الشيخ عبد القادر الجيلاني ؟ ماهو محل ولادته وفي أية سنة؟

لقد ازداد عام 470 هجرية الموافق 1077 ميلادية في قصبة من بلاد جيلان أيام الخليفة المستظهر بالله ابن العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله ابن القاسم عبد الله العباسي.

والده كان يسمى أبا صالح جنكي دوست ومعنى جنكي دوست الرجل الذي يحب القتال ، وأمه أم الخير فاطمة بيت السيد عبد الله الصومعي ، ينتهي نسبها إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب، مثل ما ينتهي نسبه من جهة أبيه إلى سيدنا الحسن كرم الله وجهه، إذن، فهو متصل بالشجرة النبوية من جهة أبيه ، وجهة أمه.

يقول العلامة النسابة ابن الطيب في نظمه المسمى بالأشراف على نسبة أربعة من الأشراف الفضلاء وهم: الشيخ عبد القادر الجيلاني ، والمولى عبد السلام بن مشيش ، وأبو الحسن الشاذلي، وسيدي محمد بن سليمان الجزولي . يقول في شأنهم

هذا نظام لعمود النسب
الأربع الأقطاب أهل الرتب
الشيخ عبد القادر الجيلاني
وابن مشيش مفرد الإيمان
والشاذلي الكامل الوصول
وابن سليمان الجزولي

في نشأته وهو صغير كانت التقاليد تفرض عليه بأن يلتحق بمركز من مراكز الدراسة حيث حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم على المشايخ من العلماء الموجودين في بلده ، وفي بغداد تفقه على كبار حكمائها وعلمائها أمثال الشيخ ابن الوفاء علي بن عقيل الحنبلي. ومحمد بن الحسن بن محمد بن الفراء.

كانت والدته رحمها الله توصيه بالصدق لدى وداعه لها عند ماقرر أن يذهب إلى بغداد لإتمام دراسته العلمية وتربيته الروحية ، والاتصال بجهابذة العلماء ، والاستفادة من الصالحين الأتقياء ، وكان من جملة الذين أخذ عنهم علم التصوف أبو الخير حماد بن مسلم الدباس ، فكان يرشده ويوجهه ويتأدب على يده أدب الأقوام الصالحين، ولما قرر الذهاب إلى بغداد لطلب العلم صار يدرس الدروس العالية في الفقه والأصول والفروع والخلاف والحديث حتى برع فيها جميعها.

كان في دراسته العلمية منكبا على الدراسة والتحصيل ، وهو في تعبده مثال المتعبدين الصادقين.

ولما بلغ سن الثامنة عشرة من عمره تاقت نفسه إلى الارتواء من منابع العلوم المختلفة ، فقرر الذهاب إلى بغداد مركز العلم ومنبعه ومأوى العلماء الجهابذة الكرام ، فأخبر والدته أم الخير بما عزم عليه، واستأذنها لتسمح له بالسفر ، فلم يسعها رغم تعلقها به إلا أن تسمح له ، وتزوده بما كان لديها من مال ورثته عن زوجها وهو ثمانون دينارا ، وترك لها أربعين، وكعادة الأمهات الحنونات وضعت الأربعين دينارا في كيس..

(يتبع)

تتمة (ص:10)

ثم إذا كان الذي علق الحديث عنه دون الصحابة فالحكم بصحته يتوقف على اتصال الإسناد بينه وبين الصحابي ، وأما ما لم يكن في لفظه جزم وحكم مثل روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، وروي عن فلان كذا ، أو في الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، فهذا وما أشبهه من الألفاظ ليس في شيء منه حكم منه بصحة ذلك عمن ذكره عنه لأن مثل هذه العبارات تستعمل في الحديث الضعيف أيضا ، ومع ذلك فإيراده له في أثناء الصحيح مشعر بصحة أصله إشعارا يؤنس به ويركن إليه والله أعلم .

ثم إن ما يتقاعد من ذلك عن شرط الصحيح قليل يوجد في كتاب البخاري في مواضع من تراجم الأبواب دون مقاصد الكتاب وموضعه الذي يشعر به اسمه الذي سماه به وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، وإلى الخصوص الذي بينا يرجع مطلق قوله « ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح».

وكذلك مطلق قول الحافظ أبي نصر الوائلي السجزي: أجمع أهل العلم الفقهاء وغيرهم على أن رجلا لو حلف بالطلاق أن جميع ما في كتاب البخاري مما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قد صح عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاله لاشك فيه إنه لا يحنث والمرأة بحالها في حبالته.

وكذلك ما ذكره أبو عبد الله الحميدي في كتابه الجمع بين الصحيحين من قوله لم نجد من الأئمة الماضين رضي الله عنهم أجمعين من أفصح لنا في جميع ما جمعه بالصحة إلا هذين الإمامين ، فإنما المراد بكل ذلك مقاصد الكتاب وموضوعه ومتون الأبواب دون التراجم ونحوها لأن في بعضها ما ليس من ذلك قطعا مثل قول البخاري باب ما يذكر في الفخذ ويروي عن ابن عباس وجرهد ومحمد بن جحش عن النبي صلى الله عليه وسلم الفخذ عورة وقوله في أول باب من أبواب الغسل وقال بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم « الله أحق أن يستحيى منه» فهذا قطعا ليس من شرطه ولذلك لم يورده الحميدي في جمعه بين الصحيحين فاعلم ذلك فإنه مهم خاف والله أعلم.

السابعة : وإذا انتهى الأمر في معرفة الصحيح إلى ما أخرجه الأئمة في تصانيفهم الكافلة ببيان ذلك كما سبق ذكره فالحاجة ماسة إلى التنبيه على أقسامه باعتبار ذلك، فأولها صحيح أخرجه البخاري ومسلم جميعا . الثاني صحيح انفرد به البخاري أي عن مسلم . الثالث صحيح انفرد به مسلم أي عن البخاري ، الرابع صحيح على شرطهما لم يخرجاه . الخامس صحيح على شرط البخاري لم يخرجه ، السادس صحيح على شرط مسلم لم يخرجه.

السابع صحيح عند غيرهما وليس على شرط واحد منهما. هذه أمهات أقسامه. وأعلاها الأول وهو الذي يقول فيه أهل الحديث كثيرا صحيح متفق عليه. يطلقون ذلك ويعنون به اتفاق البخاري ومسلم لا اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول.

وهذا القسم جمعيه مقطوع بصحبه والعلم اليقيني النظري واقع به خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن وإنما تلقته الأمة بالقبول لأنه يجب عليهم العمل بالظن والظن قد يخطئ وقد كنت أميل إلى هذا واحسبه قويا ثم بان لي أن المذهب الذي اخترناه،أولا، هو الصحيح لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ . والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ ولهذا كان الإجماع المبتنى على الاجتهاد حجة مقطوع بها وأكثر إجماعات العلماء كذلك، وهذه نكتة نفيسة نافعة ومن فوائدها القول بأن ما انفرد به البخاري أو مسلم مندرج في قبيل ما يقطع بصحته لتلقي الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول على الوجه الذي فصلناه من حاملهما فيما سبق سوى أحرف يسيرة تكلم عليها بعض أهل النقد من الحفاظ كالدارقطني وغيره، وهي معروفة عند أهل الشأن والله أعلم .

الثامنة : إذا ظهر بما قدمناه انحصار طريق معرفة الصحيح والحسن لأن في مراجعة الصحيحين وغيرهما من الكتب المعتمدة فسبيل من أراد العمل أو الاحتجاج بذلك إذا كان يسوغ له العمل بالحديث أو بالاحتجاج به لدى مذهب أن يرجع إلى أصل قد قابله هو أو ثقة غيره بأصول صحيحة متعمدة مروية بروايات متنوعة ليحصل له بذلك. مع اشتهار هذه الكتب وبعدها عن أن تقصد بالتبديل والتحريف. الثقة بصحة ما اتفقت عليه تلك الأصول والله أعلم.

ميثاق الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1093
السنة38
الجمعة 27 شوال 1425 هـ الموافق 10 دجنبر 2004 م
المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس
مدير النشر:
إدريس كرم
رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني
التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي
الثمن:3 دراهم
الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348
عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma
الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط
التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب
ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1093 الجمعة 27 شوال 1425 هـ .الموافق 10 دجنبر 2004م

السلوك المنحرف والمرجعية الفكرية

■ إعداد الدكتور: لطفي الحضري

مقدمة

تحدد المرجعية الفكرية جميع أنواع السلوكيات اليومية، وتضع بكل ثقلها على توجيه التواصل الاجتماعي والتواصل اللغوي والحركي. وبهذا تكتسي المرجعية الفكرية صبغة مهمة لتأطير الفكر المجتمعي في جميع توجهاته العقائدية والثقافية وكذلك العلمية. لهذا فإن تطور المرجعية الفكرية تمر بمراحل عديدة منها التكوين والتعميم والتطبيع ثم الترسيخ. فالأفكار الجديدة لاتدخل المجتمع بصفة كلية أي مباشرة، لأن هذا الإقحام المباشر قد يتناقض مع أسس المرجعية الفكرية فيرفضها المجتمع بصفة كلية.

لهذا يتم الرمي بعناصر مجزئة داخل المرجعية الأصلية، لكي لايجد المجتمع تناقضا جوهريا مع الفكرة "الجديدة"، فتأتي عناصر مركبة فترتبط بالجزئيات الأولية لتشكل محاور جانبية للمرجعية الفكرية الأصلية، فإذا ثم ذلك، وانقسم المجتمع بين مؤيد ومعارض، تتحول هذه الجزئيات من محاور جانبية إلى محاور رئيسية في الفكر المجتمعي لتتطور إلى مراحل التطبيع والترسيخ.

أحاول في هذا البحث تبيان كيف أن المرجعية الفكرية تتبلور من خلال تصادم الفكر مع الواقع وتصارع الأصل مع الغريب، وكيف يمكن أن يصبح هذا الغريب محورا أساسيا في المرجعية الفكرية، حتى يقبله من كان يرفضه بالأمس، دون أن يعي كيف تم إيصاله للقبول بالأفكار المغتربة.

ونرى في بعض "الحركات" في فرنسا مثالا واضحا على قدرة تغيير المرجعية الفكرية للمجتمع. حيث أن الحركات النسوية ساعدت في فرنسا عن قصد أو غير قصد على تطور الحركة التي تدعو إلى الاعتراف بالشذوذ الجنسي.

إذ يذهب بعض الباحثين للقول بأن هذه الحركة النسوية غيرت رؤية المجتمع لمفهوم الذكورة، وجعلت من الجنس المحرك الأساسي للعلاقات الاجتماعية، بل دافعت عن التحرر الجنسي بكل مشاربه، هذه الدعوة استفا د منها الشواذ للإعلان على الحرية الجنسية المطلقة، والأغرب من هذا، هو أن الشواذ استفادوا أيضا من "الجمعيات والأحزاب البيئية" إذ أصبح مفهوم البيئة مرتبط بمفهوم الطبيعة، بمعنى أن يعيش الإنسان مع الطبيعة وعلى طبيعته. فأصبح الشواذ يصيغون هذا المفهوم للطبيعة حسب فلسفتهم إذ هم الذين يعيشون طبيعتهم برغبتهم المنحرفة، أي أن سلوكياتهم طبيعية عادية وسوية.

فالطبيعي والطبيعة أصبحا يقدمان لتبرير التوجه الانحرافي، بما فيه دعاة العري (Les exhibitionnistes)، هذا التوجه العام للإباحية زود الشواذ بأفكار فلسفية لتأطير توجهاتهم والدفاع عنها.

وهكذا وتحت الإلحاح المستمر لهذه المؤسسات لم يعد يعتبر الشذوذ خللا وظيفيا ونفسيا، فقامت الجمعية العالمية للطب النفسي بإزالة مفهوم اللواطية من قاموس الطب النفسي الذي يعتبر مرجعية عالمية في هذا الميدان، وأصبح بهذا المقتضى الانحراف الجنسي لايدخل في تصنيف الأمراض النفسية. بل وذهبت بعض الجمعيات إلى المطالبة بتدريس ثقافة الشواذ في المدارس، وتأسست في أمريكا شعبة سوسيولوجيا "الجنسية المثلية" في كل من جامعة ديوك وبيركلي وجون هوبكينز.

أحاول أن أثبت كيف أن الجزئيات الجانبية التي تدور حول الشذوذ الجنسي كشيء طبيعي ليس طبيعيا، وأنه لا وجود لمكونات بيولوجية عند الأفراد يمكنها أن تحدد التوجهات الانحرافية. حيث تصبح هذه الأفكار جزئيات محورية في المرجعية الفكرية الجديدة فيقع تصادم بين المرجعية الدينية القرآنية انطلاقا من الآيات التي تخص قوم لوط، والتوجه العلماني حول مفهوم "ماهو بيولوجي فهو طبيعي" والهدف هو محاولة "نسخ" آيات لوط وقبول الفكر العلماني عبر تبريرات واهية.

أذهب في هذا البحث إلى تبيان التداخل الحاصل بين المعطيات البيولوجية والمرجعية الفكرية والعناصر النفسية:

1. المعطيات البيولوجية غير صحيحة من الناحية العلمية، بل هي فقط، محاولة "علمانية" لإقحام الجزئيات الثانوية في المحاور الأساسية للمرجعية الفكرية الدينية.

2. التأكيد على أهمية المحافظة على المرجعية الفكرية وعدم الاستهانة بالجزئيات الشاذة المبعثرة هنا وهناك، مثل بعض اللقطات العابرة في التلفزة، أو في الصحف الوطنية، التي إما أنها تجهل ماتفعل أو تفعل ماتفعل عن علم، وهما أمران أحلاهما مر.

3. تحليل الانحراف الجنسي من الناحية النفسية، وتوضيح أن هذا السلوك هو في حقيقة الأمر سلوك انحرافي يمكن علاجه نفسيا، إذن، فأي سلوك انحرافي فهو ليس طبيعيا، ومايتم علاجه فهو ليس بيولوجيا، إذن، ليس طبيعيا.

ويتشكل البحث من موضوعات متجانسة، تسعى كلها لتوضيح الفكرة الأساسية حول ترابط المرجعية الفكرية والسلوك الانحرافي.

أتكلم في الفقرة الأولى عن أسباب الشذوذ وكيف تتداخل الأسباب البيولوجية مع الأسباب النفسية والاجتماعية والعائلية لأعطي نظرة موسعة عن هذه الأسباب المؤدية إلى السلوك الانحرافي الغير الطبيعي.

وفي الفقرة الثانية أقدم للقارئ تحليلا للنصوص التوراتية والتحليل النفسي لأعالج فرضية العلاقة بين المرجعية الفكرية والسلوك، ومن هنا يمكن فهم كيف أثرت الثورات كمرجعية فكرية لفرويد إذ قامت ببلورة جميع نصوص التحليل النفسي الذي قد يظهر من الوهلة الأولى أن فرويد استطاع صياغتها انطلاقا من تجاربه الميدانية.

في الفقرة الثالثة أركز على الانحراف الجنسي المسمى بزنا المحارم، فأبدأ بإعطاء بعض مظاهر وأسباب هذا الانحراف ثم أناقش علاقة زنا المحارم بالمرجعية الفكرية وخاصة الدينية انطلاقا من مفاهيم الإنجيل والشذوذ الجنسي، وهذا أيضا، يمكن من التأكيد على الفرضية الأساسية لهذا البحث.

وفي الفقرة الرابعة أناقش المرجعية الفكرية في عنصرها الأساسي و المتمثل في العائلة، هذه العائلة تمرر للطفل عناصر المرجعية الفكرية التي يكونها المجتمع والتي من خلالها يتصرف الأفراد فيحدد الحلال والحرام، ولهذا أتكلم عن العائلة الشاذة. فالعائلة هي التي تكون المرجعية الأساسية في الشذوذ الجنسي للطفل، وحيث أوضح كيف أن الشذوذ لايتبلور من عدم، ولكن اضطرابا ما في التوازن العائلي يشكل إلى حد كبير مرتعا للشذوذ الجنسي، ومن هذا المنطلق يتضح كيف لايمكن أن يكون الشذوذ الجنسي طبيعيا.

والفقرة الخامسة أخصصها لعلاج الانحراف الجنسي من الناحية النفسية، وخاصة من وجهة العلاج النسقي والعائلي، إذ أعطي بعض التقنيات العلاجية التي تخص بالأساس العائلات الشاذة.

فالشذوذ يعني شيء خارج عن الطبيعة وحيث أن كل ما هو طبيعي لايعالج، ولكن واقع الحال يدحض هذا التوجه، إذ أثبتت جميع الأبحاث إمكانية علاج الانحراف الجنسي، وحينما نتكلم عن العلاج فإننا بالضرورة لانتكلم عن شيء طبيعي، لأن العلاج يهتم، دائما، بما هو غير طبيعي.